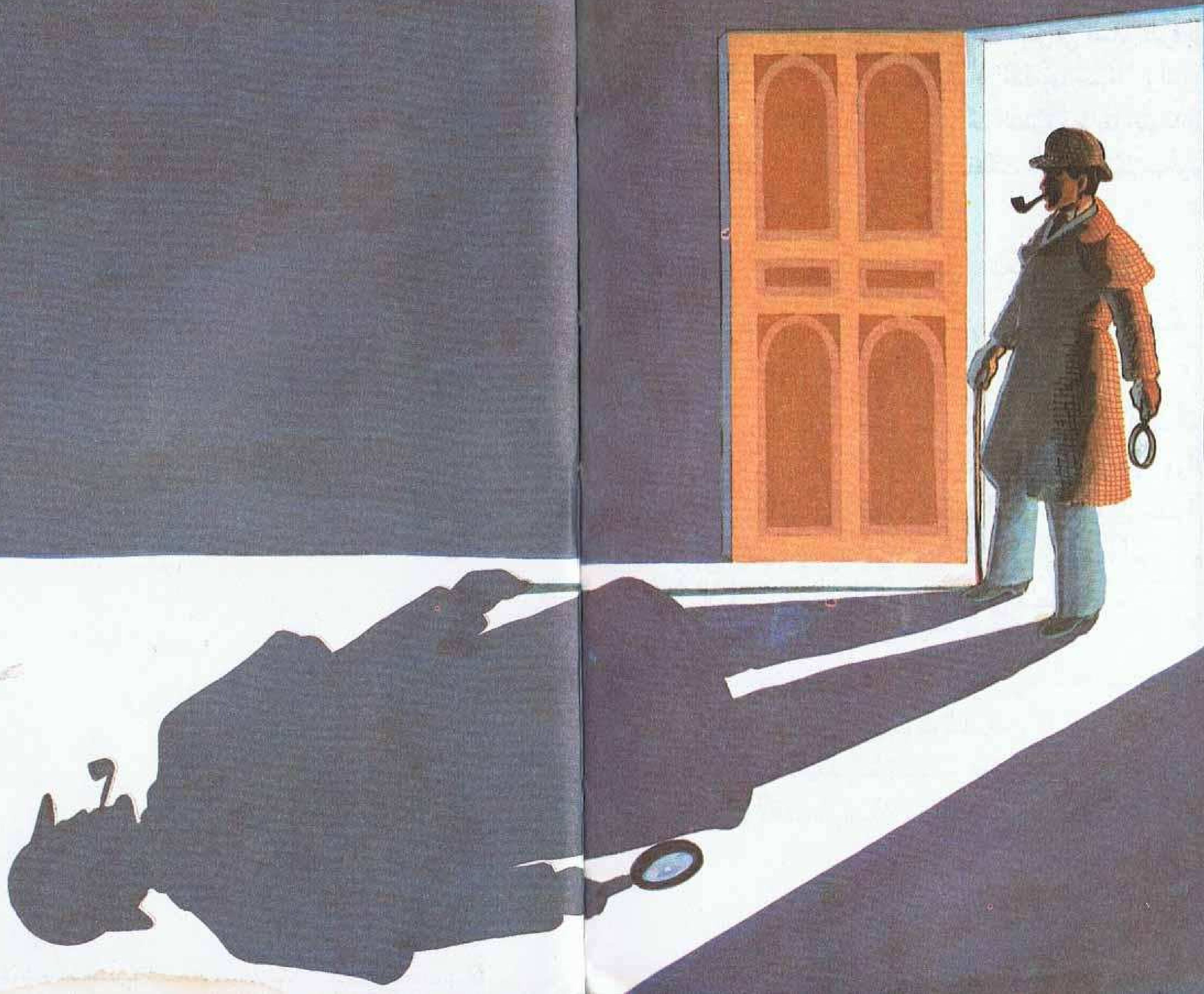


مغامرات شرلوك هولمز

النظارة الذهبية

وقصتان أخريان

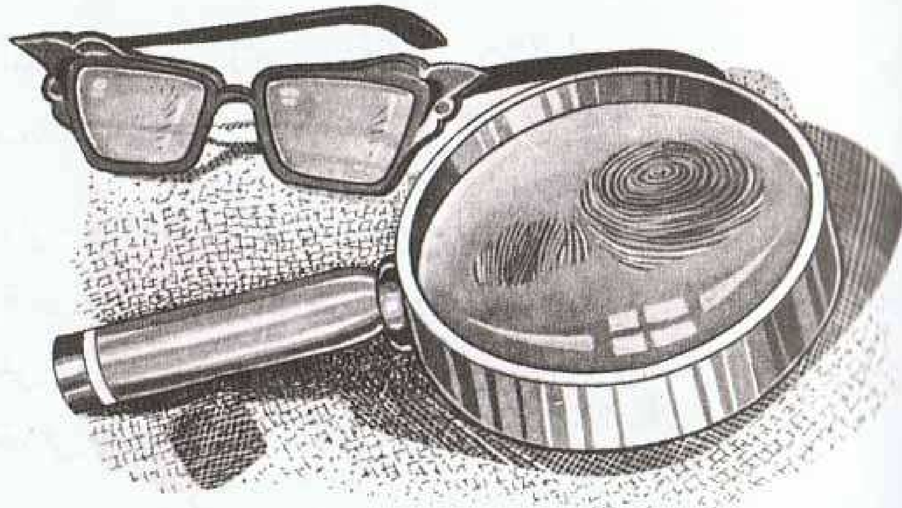






النّظّارَة الذّهبيّة

وَقِصّتان أخريان



تأليف : آرثر كونان دويل

إعداد : الدكتور محمّد محمُود رضوان

رُسُوم : عبدالشافي سيّد

مكتبة لبنان
بيروت

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٣٠٢ / ٨٨
الترقيم الدولى : ISBN ٩٧٧-١٤٤٥-٦٠-X

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة

مُقَدِّمَةٌ

مُنْذُ سَنَواتٍ مَضَتْ ، كانَ شِرْلُوك هُولمْز يُعَدُّ مِنْ أَذْكى رِجالِ المَباحِثِ وَأَوْسَعِهِمْ شُهْرَةً في جَميعِ أَرْجاءِ إِنجِلْتِرا . وَ كَثيرًا ما كانَ يَلْجَأُ إِلَيْهِ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ لِيَسْتَعينوا بِهِ في ٱلكَشْفِ عَنْ غُموضِ بَعْضِ ٱلقَضايا .

أَمَّا أنا ، فَٱسمي دُكتور واطْسُن . وَ كُنْتُ أُعاوِنُ هُولمْز في كَثيرٍ مِنَ ٱلقَضايا ٱلَّتي يَتَوَلّاها .

وَفي عامِ ١٨٩١ كُنْتُ أَعْمَلُ مَعَ هُولمْز في إِحْدى ٱلقَضايا . وَ كانَ عَلَيْنا أَنْ نُغادِرَ إِنجِلْتِرا لِإِنْجازِ بَعْضِ ٱلأُمورِ ، وَ بَيْنَما نَحْنُ في ٱلخارِجِ إِذا بِهُولمْز يَخْتَفي ، وَ ظَنَّ ٱلجَميعُ أَنَّهُ قَدْ قُتِل . وَ كُنْتُ أَشَدَّ ٱلنّاسِ أَسَفًا وَ أَسًى بِسَبَبِ ما ٱستَقَرَّ في نَفْسي مِنْ أَنَّ صَديقي هُولمْز قَدْ ماتَ .

وَذاتَ يَوْمٍ مِنْ أَيّامِ عامِ ١٨٩٤ فُوجِئْنا بِعَوْدَةِ هُولمْز إِلى إِنجِلْتِرا . إِذًا فَهُوَ لَمْ يَكُنْ في عِدادِ ٱلأَمْواتِ كَما ظَنَّ ٱلكَثيرونَ . وَ كُنْتُ سَعيدًا بِعَوْدَتِهِ وَ بِأَنّي سَأَراهُ ثانِيَةً بَعْدَ غَيْبَةٍ طَويلَةٍ . وَ لَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ حَتّى ٱستَأْنَفْنا ٱلعَمَلَ مَعًا في بَعْضِ ٱلقَضايا . وَ في هٰذِهِ ٱلفَتْرَةِ كانَ هُولمْز – كَمُخْبِرٍ سِرِّيٍّ – أَكْثَرَ مَهارَةً وَ خِبْرَةً مِمّا كانَ مِنْ قَبْلُ .

وَ سَوْفَ أَقُصُّ عَلَيْكَ في هٰذا ٱلكِتابِ ثَلاثًا مِنْ أَحْسَنِ ٱلقَضايا ٱلتي تَوَلّاها

هُولمْز في هٰذِهِ ٱلفَتْرَةِ ، وَهيَ : « سِرُّ التَّماثيلِ السِّتَّةِ » وَ « ٱلبَنّاءُ ٱلمُخْتَفي » وَ « ٱلنَّظّارَةُ ٱلذَّهَبِيَّةُ » .

آمُلُ أَنْ تَجِدَ في قِراءَتِها لَذَّةً وَ مُتْعَةً .

الدُّكْتور واطْسُن

النظَّـــارةُ ٱلذَّهبِيَّـــةُ

الفصـــلُ ٱلأوَّلُ

كانَتْ لَيْلَةً عاصِفَةً مِنَ ٱللَّيالي ٱلأَواخِرِ في شَهْرِ نوفمْبر (تِشْرينَ ٱلثّاني). وَكُنّا – أنا وَشِرْلُوك هُولمْز – مُنْهَمِكَيْنِ في ٱلقِراءةِ قُرْبَ ٱلمِدْفَأةِ، وَلَمْ يَكُنْ يَطْرُقُ أسْماعَنا إلّا عَويلُ ٱلرِّيحِ، وَهُطولُ ٱلمَطَرِ خارِجَ ٱلمَنْزِلِ. وكانَ ٱللَّيْلُ قَدْ أرْخى سُدُولَهُ، وَأوى ٱلنّاسُ إلى مَضاجِعِهِمْ.

وَضَعَ هُولمْز كِتابَهُ وَقالَ: «أنا مَسْرورٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ هُناكَ ما يَضْطَرُّنا إلى ٱلخُروجِ ٱللَّيْلَةَ ياواطْسُن.»

قُلْتُ: «وَأنا كَذٰلِكَ.»

لَمْ أكَدْ أُتِمُّ عِبارَتي حَتّى سَمِعْنا صَوْتَ عَرَبَةٍ تَتَوَقَّفُ خارِجَ ٱلمَنْزِلِ، وَيَهْبِطُ مِنْها شَخْصٌ ما. فَٱتَّجَهْتُ نَحْوَ ٱلنّافِذةِ وَتَطَلَّعْتُ مِنْ خِلالِ ٱلظَّلامِ، وَقُلْتُ: «شَخْصٌ ما قادِمٌ إلَيْنا.»

قالَ هُولمْز: «تُرى مَنْ يَكونُ؟»

وَسَرْعانَ ماعَرَفْنا شَخْصِيَّةَ زائِرِنا، وَكانَ سْتانْلي هُوپْكِنز، وَهُوَ ضابِطُ مَباحِثَ شابٌّ في سْكُوتْلانْديارْد، وَأذْكُرُ أنَّنا كُنّا قد عاوَنّاهُ في بَعْضِ ٱلقَضايا فيما مَضى.

قالَ هُولمْز لِلزّائِرِ: «أُدْخُلْ وَٱجْلِسْ بِجِوارِ ٱلمِدْفَأةِ، فَإنَّ ٱللَّيْلَةَ شَديدةُ

ٱلبُرودةِ غَزيرةُ ٱلمَطَرِ. لا بُدَّ أنَّ لَدَيْكَ قَضِيَّةً مُثيرةً لي.»

أجابَ ضابِطُ ٱلمَباحِثِ: «نَعَمْ. هَلْ رَأَيْتَ صُحُفَ ٱلمَساءِ ياسَيِّدُ هُولمْز؟»

قالَ هُولمْز: «لا. فَقَدْ كُنْتُ مَشْغولًا بِقِراءةِ كِتابٍ.»

قالَ هُوپْكِنز: «لا عَلَيْكَ.. إنَّ ٱلصُّحُفَ لَمْ تَذْكُرْ إلّا بَعْضَ مَعْلوماتٍ قَليلةٍ. فَالقَضِيَّةُ حَديثةٌ جِدًّا، وَشُرْطةُ يُوكْسلي لَمْ تَسْتَدْعِني إلّا بَعْدَ ظُهْرِ ٱليَوْمِ.»

سَأَلْتُ ٱلضّابِطَ: «وَأيْنَ يُوكْسلي؟»

أجابَ: «في مُقاطَعةِ كِنْت، وَهِيَ مَكانٌ صَغيرٌ جِدًّا. وَعِنْدَما وَصَلْتُ هُناكَ كانَ يُخَيَّلُ إلَيَّ أنَّها سَتَكونُ قَضِيَّةً سَهْلَةً، أمّا ٱلآنَ فَإنَّها تَبْدو لي في غايةِ ٱلصُّعوبةِ. فَهُناكَ رَجُلٌ مَيِّتٌ، وَحَقيقةً لَسْتُ أدْري، ماٱلَّذي يَدْعو إلى قَتْلِهِ.»

قالَ شِرْلُوك هُولمْز: «أخْبِرْني بِكُلِّ شَيْءٍ.»

قالَ ضابِطُ ٱلمَباحِثِ: «يُوكْسلي أُولْد بْليس، مَنْزِلٌ ريفِيٌّ كَبيرٌ عَلى مَقْرَبةٍ مِنْ قَرْيةٍ صَغيرةٍ. وَمُنْذُ نَحْوِ عَشْرِ سَنَواتٍ جاءَ رَجُلٌ مُسِنٌّ لِيُقيمَ فيهِ، هُوَ ٱلبُروفيسُور كُورام. وَكانَ ٱلرَّجُلُ مَريضًا لا يَسْتَطيعُ ٱلسَّيْرَ إلّا مُتَوَكِّئًا عَلى عَصاهُ، وَلَمْ تَكَدْ تَمْضي أشْهُرٌ قَليلةٌ عَلى قُدومِهِ حَتّى تَوَطَّدَتِ ٱلصَّداقةُ

بَيْنَهُ وَبَيْنَ جيرانِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَزوروا مَنْزِلَهُ إِلّا قَليلًا .

« وَيَتَرَدَّدُ ٱلحَديثُ بَيْنَ ٱلنّاسِ أَنَّهُ رَجُلٌ ذَكِيٌّ ، وَيَقْضي مُعْظَمَ أَوْقاتِهِ عاكِفًا عَلى كُتُبِهِ . وَيَقومُ عَلى قَضاءِ حاجاتِهِ خادِمَتانِ وَبُسْتانِيٌّ . أَمّا ٱلخادِمَتانِ فَهُما ٱلسَّيِّدَةُ مارْكَر ٱلطّاهِيَةُ ، وَسوزان تارلْتون . وَٱلواقِعُ أَنَّهُما خادِمَتانِ طَيِّبَتانِ ، وَقَدْ قَضَتا في خِدْمَتِهِ فَتْرَةً طَويلَةً مِنَ ٱلزَّمانِ .

« كانَ ٱلبُروفيسُّور مَشْغولًا بِتَأْليفِ كِتابٍ . وَمُنْذُ عامٍ رَأى أَنَّهُ في حاجَةٍ إِلى سِكْرِتيرٍ يُعاوِنُهُ ، وَٱسْتَخْدَمَ رَجُلًا لِهٰذِهِ ٱلمُهِمَّةِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلى مُسْتَوًى طَيِّبٍ في ٱلكِتابَةِ ، فَلَمْ يَقْضِ إِلّا فَتْرَةً قَصيرَةً ، وَٱسْتَبْدَلَ بِهِ آخَرَ يُدْعى سْمِيث . وَصارَ سْمِيث صَديقًا مُقَرَّبًا مِنْهُ ، وَمُعينًا لَهُ في عَمَلِهِ . وَكانا يَشْتَغِلانِ مَعًا يَوْمِيًّا حَتّى كادَ ٱلبُروفيسُّور يَفْرَغُ مِنْ تَأْليفِ ٱلكِتابِ . وَلٰكِنَّ ٱلَّذي حَدَثَ أَخيرًا هُوَ أَنَّ ٱلسِّكْرِتيرَ ٱلشّابَّ قَدْ قُتِلَ .

« وَكَما قُلْتُ مِنْ قَبْلُ فَإِنَّهُ لَمْ يَزُرْ هٰذا ٱلمَنْزِلَ إِلّا عَدَدٌ قَليلٌ مِنَ ٱلنّاسِ ، وَسُكّانُ ٱلمَنْزِلِ أَنْفُسُهُمْ لا يُغادِرونَهُ إِلّا نادِرًا ، وَمِنْ بَيْنِهِمُ ٱلشَّيْخُ ٱلكَبيرُ مورْتيمَر ٱلبُسْتانِيُّ ٱلَّذي يُقيمُ في كوخٍ بِحَديقَةِ ٱلمَنْزِلِ .

« وَيَقَعُ يوكْسلي أُولْد بْليس قَريبًا مِنَ ٱلطَّريقِ ٱلمُؤَدّي إِلى لَنْدَن ، وَلَمّا كانَتْ بَوّابَةُ ٱلحَديقَةِ مِنَ ٱلنَّوْعِ ٱلَّذي يُمْكِنُ فَتْحُهُ بِسُهولَةٍ ، فَإِنَّ مِنَ ٱلمَيْسورِ أَنْ يَتَسَلَّلَ أَيُّ شَخْصٍ إِلى ٱلحَديقَةِ ثُمَّ إِلى ٱلمَنْزِلِ وَيَهْرُبَ بِمُنْتَهى ٱلسُّرْعَةِ .

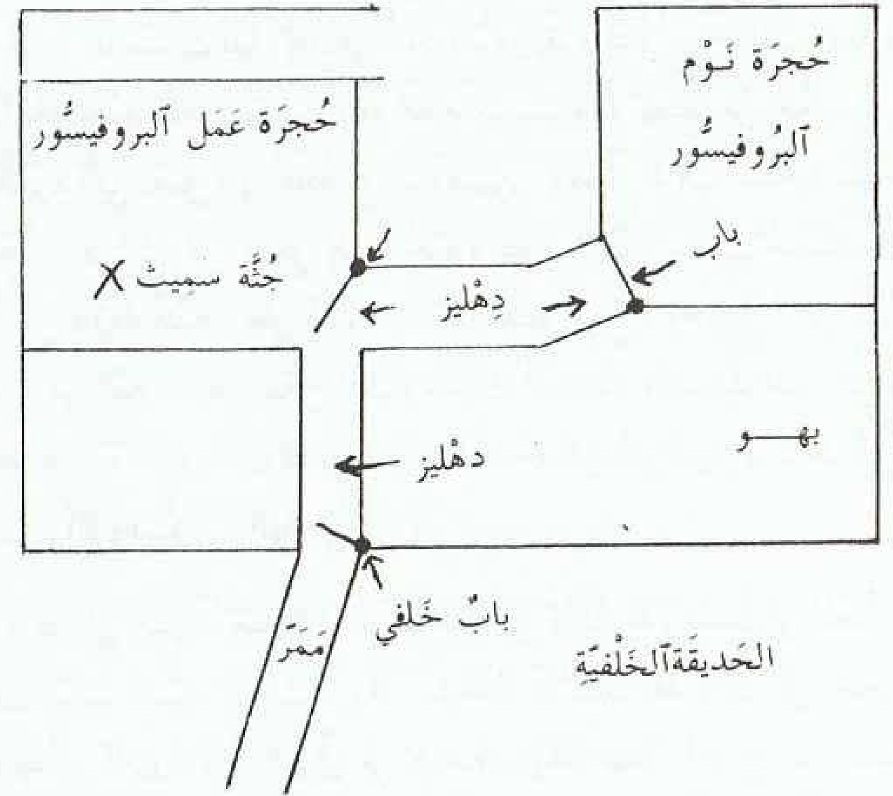
« لَقَدْ تَحَدَّثْتُ مَعَ ٱلخادِمَةِ سوزان تارلْتون ، فَقالَتْ إِنَّها كانَتْ تَعْمَلُ في

إِحْدى غُرَفِ ٱلنَّوْمِ بَيْنَ ٱلسّاعَةِ ٱلحادِيَةَ عَشْرَةَ وَٱلثّانِيَةَ عَشْرَةَ هٰذا ٱلصَّباحَ ، وَكانَ ٱلبُروفيسُّور كورام لا يَزالُ في فِراشِهِ لِأَنَّهُ لا يَنْهَضُ في ٱلغالِبِ إِلّا مُتَأَخِّرًا ، أَمّا سْمِيث فَقَدْ كانَ في حُجْرَةِ نَوْمِهِ يَقْرَأُ كِتابًا . وَأَضافَتِ ٱلخادِمَةُ أَنَّها بَعْدَ بِضْعِ دَقائِقَ سَمِعَتْ وَقْعَ أَقْدامِ سْمِيث وَهُوَ يَهْبِطُ مِنْ حُجْرَتِهِ إِلى ٱلحُجْرَةِ ٱلَّتي يَعْمَلُ فيها عادَةً مَعَ البُروفيسُّور وَفَجْأَةً طَرَقَتْ سَمْعَها صَيْحَةٌ مُدَوِّيَةٌ ، فَنَزَلَتْ عَلى عَجَلٍ إِلى ٱلحُجْرَةِ لِتَجِدَ ٱلسَّيِّدَ سْمِيث مُمَدَّدًا عَلى ٱلأَرْضِ ، وَقَدْ أَشْرَفَ عَلى ٱلمَوْتِ ، وَفي عُنُقِهِ جُرْحٌ ، وَعَلى ٱلأَرْضِ كَمِّيَّةٌ كَبيرَةٌ مِنَ ٱلدَّمِ . وَقَدْ تَمَكَّنَ ٱلسَّيِّدُ سْمِيث أَنْ يَتَفَوَّهَ بِكَلِماتٍ قَليلَةٍ قَبْلَ أَنْ يَلْفِظَ أَنْفاسَهُ ٱلأَخيرَةَ . وَكانَ صَوْتُهُ خافِتًا ، لٰكِنَّ سوزان تارلْتون تَذْكُرُ أَنَّهُ قالَ : (ٱلبُروفيسُّور ، إِنَّها هِيَ ...)

« كانَ لي حَديثٌ بَعْدَ ذٰلِكَ مَعَ ٱلطّاهِيَةِ ٱلَّتي كانَتْ قَدْ وَصَلَتْ إِلى ٱلحُجْرَةِ عَقِبَ مَوْتِ ٱلسَّيِّدِ سْمِيث . وَقَدْ سارَعَتْ ٱلاِثْنَتانِ بَعْدَ ذٰلِكَ إِلى حُجْرَةِ البُروفيسُّور ٱلَّذي كانَ لا يَزالُ في فِراشِهِ ، وَقَدْ أَصابَهُ ٱلفَزَعُ حينَ سَمِعَ ٱلصَّيْحَةَ ٱلمُدَوِّيَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَسْتَطيعُ أَنْ يَنْهَضَ مِنْ فِراشِهِ دونَ أَنْ يُعاوِنَهُ أَحَدٌ ، وَهُوَ – كَما ذَكَرَ – لا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَكونَ هُناكَ أَيُّ سَبَبٍ يَدْعو إِلى قَتْلِ ٱلسَّيِّدِ سْمِيث .

« وَقَدْ أَبْلَغَ مورْتيمَر ٱلخَبَرَ إِلى رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ ٱلَّذينَ قاموا بِٱسْتِدْعائي ، وَعِنْدَما وَصَلْتُ رَأَيْتُ أَنَّ ٱلجَميعَ كانوا حَريصينَ عَلى أَلّا يَطَأَ أَحَدٌ مَمَرَّ ٱلحَديقَةِ . كَما أَنَّهُمْ لَمْ يُحَرِّكوا أَيَّ شَيْءٍ في ٱلمَنْزِلِ مِنْ مَكانِهِ . »

وَها هِيَ ذي خَريطَةٌ لِلْمَنْزِلِ وَٱلحَديقَةِ ، أَطْلَعَنا عَلَيْها ستانْلي هُوپْكِينْز :



قالَ هُوپْكِينْز : « أَعْتَقِدُ أَنَّ شَخْصًا شَديدَ ٱلذَّكاءِ قَدْ حَضَرَ إلى ٱلمَنْزِلِ هٰذا ٱلصَّباحَ . صَحيحٌ أَنَّهُ لَيْسَ هُناكَ آثارُ أَقْدامٍ عَلى مَمَرِّ ٱلحَديقَةِ ذاتِهِ ، وَلٰكِنَّني أَسْتَطيعُ أَنْ أَرى ما يَدُلُّ عَلى أَنَّ شَخْصًا ما قَدْ مَشى عَلى ٱلعُشْبِ ٱلمُمْتَدِّ بِمُحاذاةِ ٱلممَرِّ . وَقَدْ تَعَمَّدَ هٰذا ٱلشَّخْصُ – رَجُلًا كانَ أَمِ ٱمْرَأَةً – أَنْ يُخْفِيَ أَنَّهُ كانَ هُناكَ .

« لَقَدْ ذَهَبْتُ إلى ٱلحُجْرَةِ ، وَفَحَصْتُ جُثَّةَ ٱلسَّيِّدِ سْمِيث ، وَكانَ هُناكَ

سِكِّينٌ صَغيرٌ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ ٱلسِّكِّينُ ٱلَّذي قُتِلَ بِهِ . وَهٰذا ٱلسِّكِّينُ يَمْلِكُهُ البروفيسُور ، وَكانَ دائِمًا يَحْتَفِظُ بِهِ عَلى ٱلمِنْضَدَةِ بِهٰذِهِ ٱلحُجْرَةِ . وَكانَ ٱلجُرْحُ في جانِبِ عُنُقِ سْمِيث عَلى مَقْرَبَةٍ مِنْ ظَهْرِهِ ؛ وَمِنْ هُنا فَلا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ طَعَنَ نَفْسَهُ . »

قالَ هُولمْز : « لَعَلَّهُ سَقَطَ عَلى ٱلسِّكِّينِ . »

رَدَّ ضابِطُ ٱلمَباحِثِ : « لا ، لَقَدْ كانَ ٱلسِّكِّينُ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَلٰكِنْ لَيْسَ قَريبًا مِنَ ٱلجُثَّةِ . إِنَّ أَهَمَّ شَيْءٍ وَجَدْناهُ هُوَ هٰذا . » وَقَدَّمَ لِهُولمْز نَظّارَةً ، فَأَخَذَها وَفَحَصَها بِعِنايَةٍ ، وَبَعْدَ لَحَظاتٍ تَناوَلَ قُصاصَةَ وَرَقٍ كَتَبَ فيها بَعْضَ ٱلعِباراتِ ، ثُمَّ ناوَلَها لِستانْلي هُوپْكِنْز ٱلَّذي قَرَأَ فيها :

« حاوِلْ أَنْ تَعْثُرَ عَلى سَيِّدَةٍ تَمْتَلِكُ ثَرْوَةً ضَخْمَةً ، تَلْبَسُ ثِيابًا ثَمينَةً وَلَها أَنْفٌ غَليظٌ ، وَعَيْناها مُتَقارِبَتانِ ، تُحَمْلِقُ بِبَصَرِها حينَما تَنْظُرُ إلى أَيِّ شَيْءٍ . وَقَدْ زارَتْ هٰذِهِ ٱلسَّيِّدَةُ صانِعَ نَظّاراتٍ مَرَّتَيْنِ عَلى ٱلأَقَلِّ في خِلالِ ٱلشَّهْرَيْنِ ٱلماضِيَيْنِ . أَمّا نَظّارَتُها فَهِيَ مَتينَةٌ بِشَكْلٍ غَيْرِ عادِيٍّ ، وَباهِظَةُ ٱلثَّمَنِ . وَلَمّا كانَ عَدَدُ صانِعي ٱلنَّظّاراتِ ٱلطِّبِّيَّةِ في لَنْدَن مَحْدودًا ، فَإِنّي أَعْتَقِدُ أَنَّكَ لَنْ تَجِدَ صُعوبَةً في ٱلاِهْتِداءِ إِلَيْها . »

أَخَذَتِ ٱلدَّهْشَةُ ضابِطَ ٱلمَباحِثِ ، كَما أَخَذَتْني ، حينَما قَرَأَ عِباراتِ هُولمْز . أَمّا هُولمْز فَقَدْ أَخَذَ يَنْظُرُ إلى وَجْهَيْنا وَهُوَ يَضْحَكُ ، ثُمَّ قالَ :

« إِنَّ ٱلنَّظّاراتِ يُمْكِنُ أَنْ تُنْبِئَنا بِالكَثيرِ عَنْ أَصْحابِها ٱلَّذينَ يَسْتَخْدِمونَها ،

وَهٰذِهِ ٱلنَّظَّارةُ لا بُدَّ أَنْ تَكونَ صاحِبَتُها سَيِّدةً ، فَهِيَ أَنيقةٌ جِدًّا ، ثُمَّ إِنَّ ٱلسَّيِّدَ سْمِيث قالَ قَبْلَ أَنْ يَلْفِظَ أَنْفاسَهُ : (إِنَّها هِيَ ...) وَهٰذا يَجْعَلُني أَعْتَقِدُ أَنَّ سَيِّدةً كانَتْ هُناكَ . وَلا بُدَّ أَنْ تَكونَ ذاتَ مالٍ ، وَمُغْرَمةً بِالأَشْياءِ ٱلثَّمينةِ لِأَنَّ ٱلنَّظّارةَ مِنَ ٱلذَّهَبِ ، وَٱلنَّظّاراتُ ٱلغالِيةُ ٱلثَّمَنِ تُصْنَعُ عادةً لِتُلائِمَ تَمامًا الشَّخْصَ ٱلَّذي يَسْتَعْمِلُها . »

اِلْتَفَتَ هُولمْز إِلَيَّ وَقالَ : « إِنَّ أَنْفَكَ غَليظٌ إِلى حَدٍّ كَبيرٍ ، وَمَعَ هٰذا فَأَنا واثِقٌ أَنَّ هٰذِهِ ٱلنَّظّارةَ تَكْبُرُ أَنْفَكَ بِكَثيرٍ ؛ وَمَعَ أَنَّ وَجْهِي ضَيِّقٌ ، وَعَيْنَيَّ مُتَقارِبَتانِ – فَإِنَّهُ يَصْعُبُ عَلَيَّ أَنْ أَنْظُرَ مِنْ خِلالِها . وَهٰكَذا تَرَيانِ كَيْفَ ٱسْتَطَعْتُ أَنْ أَعْرِفَ ما عَرَفْتُ عَنْ أَنْفِ ٱلسَّيِّدةِ وَعَيْنَيْها . »

سَأَلْتُهُ : « وَلٰكِنْ ماذا عَمّا ذَكَرْتَ مِنْ حَمْلَقَتِها ، وَعَنْ زِياراتِها لِصانِعِ ٱلنَّظّاراتِ ٱلطِّبِّيَّةِ ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « إِنَّ ضِعافَ ٱلبَصَرِ دائِمًا يُحَمْلِقونَ عِنْدَما يَنْظُرونَ إِلى ٱلأَشْياءِ ، فَهُمْ لا يَسْتَطيعونَ ٱلرُّؤْيةَ بِسُهولةٍ ، وَلَقَدْ كانَ واضِحًا لي أَنَّ ٱلنَّظّارةَ أُصْلِحَتْ مَرَّتَيْنِ ، وَأَنَّ ٱلإِصْلاحَ تَمَّ في وَقْتَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ . إِنَّ ٱلذَّهَبَ جَديدٌ جِدًّا وَأَشَدُّ صُفْرةً في أَحَدِ ٱلمَكانَيْنِ ، بَينَما يَبْدو في ٱلمَكانِ ٱلآخَرِ قَديمًا إِلى حَدٍّ ما . »

قالَ هُوپْكِنز : « إِنَّكَ دائِمًا شَديدُ ٱلذَّكاءِ يا سَيِّدُ هُولمْز . إِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّكَ تَعْرِفُ ٱلآنَ عَنْ هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةِ أَكْثَرَ مِمّا أَعْرِفُ ، مَعَ أَنَّكَ لَمْ تَزُرْ قَطُّ يُوكْسلي

أُولْد بْلِيس . فَهَلْ تَتَفَضَّلُ أَنْتَ وَٱلدُّكْتور واطْسُن بِالذَّهابِ مَعي إلى هُناكَ في ٱلغَدِ ؟ »

قُلْنا : « نَعَمْ.»

كانَ عَلَيْنا أَنْ نَأْخُذَ قِطارَ ٱلسَّاعةِ ٱلسادِسةِ مِنْ صباحِ ٱلْيَوْمِ ٱلتَّالي ، وَلِذٰلِكَ طَلَبَ هُولمْز مِنْ سْتانْلي هُوپْكِينْز أَنْ يَقْضِيَ ٱللَّيْلَةَ مَعَنا .

الفَصْلُ ٱلثّاني

كانَ ٱلطَّقسُ في ٱلْيَوْمِ ٱلتَّالي أَحْسَنَ ، وَلٰكِنَّ ٱلبَرْدَ لَمْ يَزَلْ شَديدًا . أَخَذْنا ٱلقِطارَ إلى بَلْدةٍ صَغيرةٍ قُرْبَ تُشاتام ، حَيْثُ تناوَلْنا طَعامَ ٱلإفْطارِ ، ثُمَّ رَكِبْنا عَرَبةً إلى يُوكْسلي أُولْد بْليس . كانَ هُناكَ شُرْطِيٌّ في ٱنْتِظارِنا عِنْدَ بَوَّابَةِ ٱلمَنْزِلِ ، فَسَأَلَهُ سْتانْلي هُوپْكِينْز عَمّا إذا كانَ شَيْءٌ حَدَثَ أَثْناءَ ٱللَّيْلِ ، فَأَجابَ بِالنَّفْيِ ، وَأَضافَ أَنَّ ٱلشُّرْطَةَ لَمْ تَهْتَدِ إلى جَديدٍ .

قالَ هُوپْكِينْز لِهُولمْز : « هٰذا هُوَ مَمَرُّ ٱلحَديقةِ يا سَيِّدُ هُولمْز ، وَتَسْتَطيعُ أَنْ تَرى أَنَّهُ لَيْسَ هُناكَ أَيُّ آثارٍ عَلَيْهِ . »

سَأَلَهُ هُولمْز : « في أَيِّ جانِبَيِ ٱلمَمَرِّ وَجَدْتَ آثارًا على ٱلعُشْبِ ؟ »

أَجابَ ضابِطُ ٱلمَباحِثِ : « في هٰذا ٱلجانِبِ . » وَأَشارَ إلى أَحَدِ ٱلجانِبَيْنِ

قالَ هُولمْز : « إِنَّ ٱلعُشْبَ ضَيِّقٌ هُنا ، وَمَعَ هٰذا أَسْتَطيعُ أَنْ أَرى ما ٱلَّذي يُمْكِنُ أَنْ يَسْلُكَهُ أَحَدٌ مِنَ ٱلشَّارِعِ إلى ٱلمَنْزِلِ ؟ »

قالَ سْتانْلي هُوپْكِينْز : « نَعَمْ ، أَنا مُتَأَكِّدٌ مِنْ هٰذا . »

قالَ هُولمْز : « إذًا فإنَّ ٱلسَّيِّدةَ لا بُدَّ أَنْ تَكونَ قَدْ عادَتْ مِنَ ٱلطَّريقِ نَفْسِهِ أَيْضًا . »

قالَ هُوپْكِينْز : « نَعَمْ . »

قالَ هُولمْز : « لَقَدْ كانَ هٰذا مُنْتَهى ٱلذَّكاءِ مِنْها . لَقَدْ كانَ عَلَيْها أَنْ تَمْشِيَ بِمُنْتَهى ٱلحِرْصِ وَٱلحَذَرِ . أَنا واثِقٌ مِنْ هٰذا . وَٱلآنَ ، لَقَدْ رَأَيْتُ كُلَّ ما أَرَدْتُ أَنْ أَراهُ في ٱلحَديقةِ . فَهَيَّا بِنا إلى داخِلِ ٱلمَنْزِلِ . أَظُنُّ أَنَّ ٱلبابَ ٱلمُؤَدِّيَ إلى ٱلحَديقةِ مَفْتوحٌ دائِمًا ، وَمِنْ ثَمَّ كانَ مِنَ ٱلسَّهْلِ عَلَيْها أَنْ تَدْخُلَ . »

اِسْتَمَرَّ هُولمْز في حَديثِهِ : « أَنا لا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ كانَ في نِيَّتِها أَنْ تَقْتُلَ أَحَدًا ، بِدَليلِ أَنَّها لَمْ تُحْضِرْ مَعَها سِكِّينًا أَوْ مُسَدَّسًا ؛ وَإِنَّما لَجَأَتْ إلى ٱسْتِخْدامِ سِكِّينِ البُروفيسُور ٱلَّذي وَجَدَتْهُ على ٱلمِنْضَدةِ . »

لَمَّا دَخَلْنا ٱلمَنْزِلَ قالَ هُولمْز : « لَقَدْ مَرَّتْ في هٰذا ٱلدِّهْليزِ ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَتْرُكْ أَيَّ أَثَرٍ عَلى ٱلأَرْضِ . ثُمَّ دَخَلَتْ هٰذِهِ ٱلحُجْرةَ . كَمْ مِنَ ٱلوَقْتِ قَضَتْ هُنا يا تُرى ؟ هَلْ تَعْرِفُ ؟ »

قالَ هُوپْكِينْز : « قَضَتْ هُنا بِضْعَ دَقائِقَ يا سَيِّدُ هُولمْز ، فالطّاهِيةُ تَقولُ

إنَّها كانَتْ تَقومُ بِالتَّنْظيفِ هُنا قَبْلَ مَقْتَلِ آلسَّيِّدِ سْميث بِرُبْعِ ساعةٍ فَقَطْ . لَقَدْ نَسيتُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِهٰذا بِالأَمْسِ . »

قالَ هُولمْز : « حَسَنٌ ، إِذًا فَهِيَ لَمْ تَقْضِ هُنا أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَ عَشْرَةَ دَقيقةً ، وَ لَقَدِ آتَّجَهَتْ إلى هٰذا آلصُّوانِ آلمُجاوِرِ لِلْمِنْضَدةِ ، إذ إنَّهُ آلقِطْعَةُ آلوَحيدةُ آلمُقْفَلةُ في هٰذِهِ آلحُجْرةِ . فإذا كانَ في آلحُجْرةِ أيُّ شَيْءٍ لَهُ أَهَمِّيَّةٌ فَلابُدَّ أَنْ يَكونَ في هٰذا آلصُّوانِ . »

اِنْحَنى هُولمْز يَتَأَمَّلُ بابَ آلصُّوانِ ، ثُمَّ آسْتَوى واقِفًا ، وَ قالَ وَ هُوَ يُشيرُ إلى آلبابِ : « اُنْظُرْ . هُنا خَدْشٌ صَغيرٌ عَلى آلقُفْلِ آلنُّحاسيِّ بِجِوارِ ثُقْبِ آلمِفْتاحِ ، لِماذا لَمْ تُخْبِرْني بِذٰلِكَ يا هُوپْكِينْز ؟ »

قالَ ضابِطُ آلمباحِثِ : « لَمْ يَخْطِرْ بِبالي أَنَّ لِلْأَمْرِ أَهَمِّيَّةً ، فَهُناكَ دائِمًا مِثْلُ هٰذِهِ آلخُدوشِ بِقُرْبِ ثُقوبِ آلمَفاتيحِ . »

قالَ هُولمْز : « أَعْرِفُ ذٰلِكَ ، وَلٰكِنَّ هٰذا آلخَدْشَ حَديثٌ جِدًّا . وَ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَدَثَ بِالأَمْسِ فَقَطْ . هَلِ آلسَّيِّدَةُ مارْكَر هُنا ؟ »

قالَ هُوپْكِينْز : « نَعَمْ ، ها هِيَ ذي . »

سَأَلَها هُولمْز : « هَلْ رَأَيْتِ هٰذا آلخَدْشَ بِالأَمْسِ عِنْدَما نَظَّفْتِ آلحُجْرةَ ؟ »

قالَتْ : « لا ، لَمْ أَرَهُ . »

قالَ هُولمْز : « أنا واثِقٌ مِنْ أَنَّكِ لَمْ تَرَيْهِ ، وَ أَعْتَقِدُ أَنَّ آلشَّخْصَ آلَّذي قَتَلَ

آلسَّيِّد سْميث هُوَ آلَّذي أَحْدَثَهُ . مَعَ مَنْ كانَ مِفْتاحُ هذا آلقُفْلِ ؟ »

أَجابَتِ آلسَّيِّدةُ مارْكَر : « مَعَ آلبروفيسُور ، وَ هُوَ يَحْتَفِظُ بِهِ مَعَهُ في حُجْرَتِهِ . »

كانَ آلسُّؤالُ آلتَّالي لِهُولمْز هُوَ : « هَلْ هُوَ مِفْتاحٌ عادِيٌّ ؟ »

قالَتِ آلخادِمةُ : « لا ، إنَّهُ مِفْتاحٌ مَتينٌ . إنَّهُ لَيْسَ مِفْتاحًا عادِيًّا . »

هُنا أَذِنَ هُولمْز لِلسَّيِّدةِ مارْكَر بِالِانْصِرافِ ، وَ بَعْدَ مُغادَرَتِها آلحُجْرةَ قالَ لنا : « آلآنَ نَعْرِفُ ما حَدَثَ ، فالسَّيِّدةُ جاءَتْ إلى هٰذِهِ آلحُجْرةِ ثُمَّ آتَّجَهَتْ إلى آلصُّوانِ وَ حاوَلَتْ فَتْحَهُ ، وَ قَدْ حَضَرَ سْميث بَيْنَما كانَتْ في مُحاوَلَتِها ؛ فَسارَعَتْ تُحاوِلُ إخْراجَ آلمِفْتاحِ مِنَ آلقُفْلِ . وَ نَظَرًا لِأَنَّها كانَتْ مُتَعَجِّلةً ؛ فَقَدْ أَحْدَثَتْ هٰذا آلخَدْشَ . وَ حينَ آتَّجَهَ سْميث إلَيْها آلْتَقَطَتِ آلسِّكِّينَ . وَ لَمَّا حاوَلَ أَنْ يُمْسِكَ بِها ؛ طَعَنَتْهُ بِهِ فَسَقَطَ عَلى آلأَرْضِ ، أَمَّا هِيَ فَقَدْ جَرَتْ خارِجَ آلحُجْرةِ بَعْدَ أَنْ فَقَدَتْ نَظَّارَتَها . وَ كانَ أَمامَها دِهْليزانِ لِلْخُروجِ : أَحَدُهُما يُؤَدِّي إلى آلبابِ آلخَلْفِيِّ ، وَ آلآخَرُ إلى بابِ آلبروفيسُور ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

قالَ هُوپْكِينْز : « بَلى ، وَ لَيْسَ هُناكَ طَريقٌ إلى خارِجِ آلمَنْزِلِ عَبْرَ آلدِّهْليزِ آلآخَرِ . »

قالَ هُولمْز : « هَيَّا لِنَرى آلبروفيسُور . »

ذَهَبْنا عَبْرَ ٱلدِّهْليزِ إلى حُجْرةِ ٱلبروفيسُور ، وَ نَظَرَ هُولمْز إلى جُدْرانِ ٱلدِّهْليز وَ أَرْضيَّتِهِ وَ سَأَلَ : « هَلْ تُلاحِظُ أَيَّ شَيْءٍ غَريبٍ في هٰذا ٱلدِّهْليز أَيُّها ٱلضَّابِطُ ؟ »

قالَ هُولمْز : « هٰذا ما أَعْنيه ، فَٱلجُدْرانُ وَ ٱلأَرْضيَّةُ في هٰذا ٱلدِّهْليزِ تُماثِلُ تَمامًا نَظائِرَها في ٱلدِّهْليزِ ٱلآخَرِ . »

سَأَلَ ضابِطُ ٱلمَباحِثِ : « وَ هَلْ لِهٰذا أَهَمِّيَّةٌ ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « رُبَّما كانَ ٱلأَمْرُ كَذٰلِكَ ، وَ لٰكِنِّي لَسْتُ مُتَأَكِّدًا مِنْهُ بَعْدُ . »

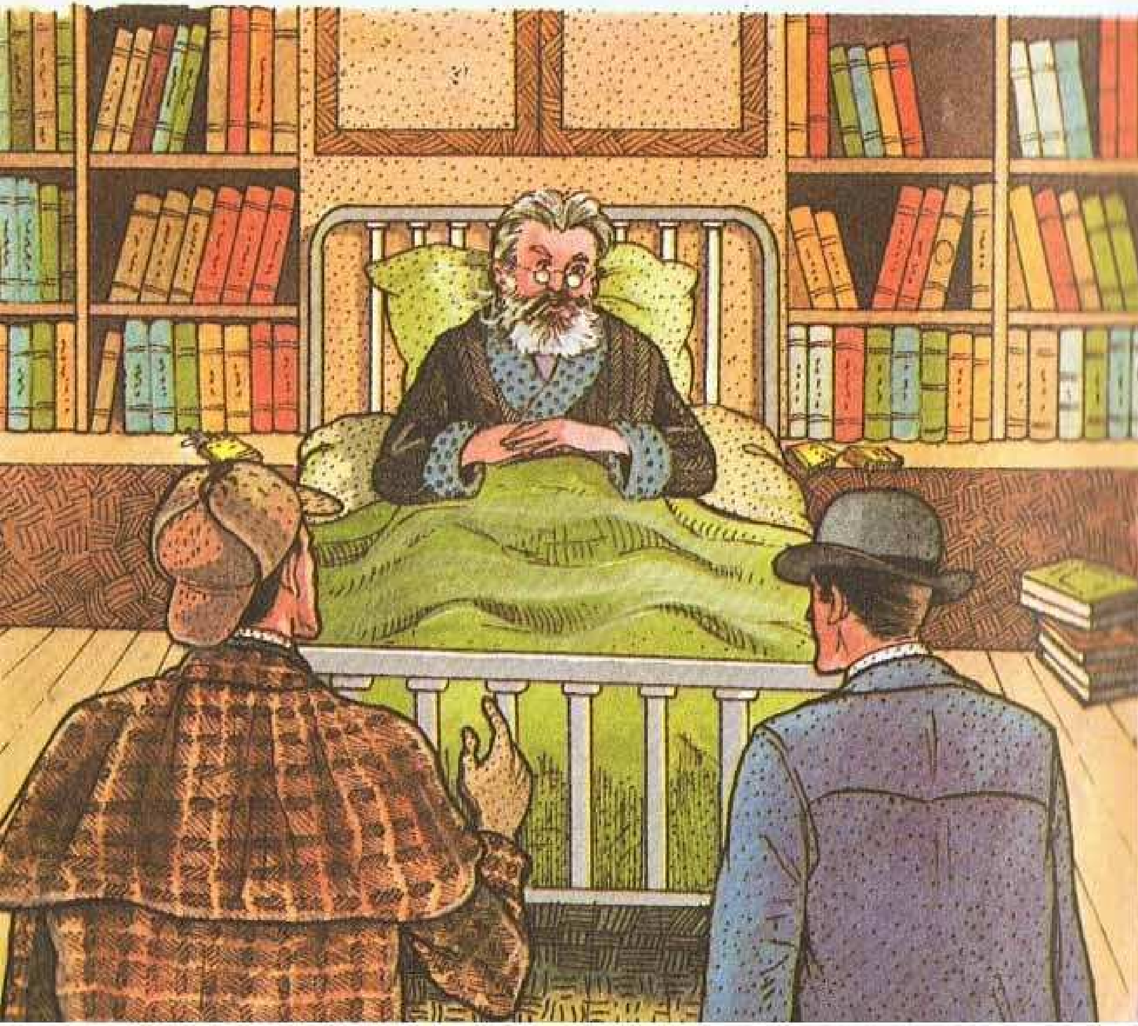
الفَصْلُ ٱلثَّالِثُ

دَخَلْنا حُجْرةَ ٱلبرُوفيسُور ، وَ كانَتْ واسِعةً ، تُغَطِّي جُدرانَها ٱلكُتُبُ . وَ كانَتِ ٱلكُتُبُ مِنَ ٱلكَثْرةِ بِحَيْثُ كانَ بَعْضُها مُكَدَّسًا فَوْقَ ٱلأَرْضِ أَمامَ ٱلرُّفوفِ ، وَ كانَ ٱلبروفيسُور راقِدًا عَلى سَريرِهِ ٱلَّذي يَتَوَسَّطُ ٱلحُجْرةَ . كانَ شَعْرُهُ أَبْيَضَ ، وَ لَهُ لِحْيةٌ كَبيرةٌ بَيْضاءُ . وَ لٰكِنَّها كانَتْ صَفْراءَ قَذِرةً في ٱلجُزْءِ ٱلقَريبِ مِنْ فَمِهِ ، وَ كانَ يُدَخِّنُ سيجارةً ، وَ قَدِ ٱنْتَشَرَتْ رائِحةُ ٱلتَّبْغِ في ٱلحُجْرةِ . وَ كانَتْ هُناكَ عُلَبُ سَجائِرَ كَثيرةٌ عَلى ٱلمِنْضَدةِ ، وَ عِنْدَما نَظَرْتُ إلى يَدِهِ لاحَظْتُ أَنَّها صَفْراءُ مِنْ أَثَرِ ٱلتَّبْغِ .. تَمامًا مِثْلُ لِحْيَتِهِ .

حَيَّا ٱلبرُوفيسُور هُولمْز ثُمَّ سَأَلَهُ : « هَلْ تُدَخِّنُ يا سَيِّدُ هُولمْز ؟ لَدَيَّ

أَنْواعٌ فاخِرةٌ مِنَ ٱلسَّجائِرِ . إِنَّني أُدَخِّنُ عَدَدًا كَبيرًا مِنْها ، فَٱلتَّدْخينُ مِنَ ٱلمُتَعِ ٱلقَليلةِ ٱلَّتي تَجْلُبُ لِيَ ٱلسَّعادةَ . إِنَّني أَجِدُ صُعوبةً في ٱلمَشْيِ ، وَ كَذٰلِكَ لا أَسْتَطيعُ ٱلخُروجَ ، وَ حَسْبي أَنَّني أَجِدُ هُنا عَمَلي وَ سَجائِري . وَ ٱلآنَ ، وَ بَعْدَ مَوْتِ سْميث ، لَنْ أَكونَ قادِرًا عَلى ٱلعَمَلِ . لَقَدْ كانَ شابًّا طَيِّبًا ، وَ كانَ يُعاوِنُني كَثيرًا . إِنَّني آسِفٌ لِما أَصابَهُ أَشَدَّ ٱلأَسَفِ . »

تَناوَلَ هُولمْز سيجارةً وَ أَخَذَ يَتَمَشَّى في ٱلحُجْرةِ وَ هُوَ يُدَخِّنُ ، وَ ٱسْتَمَرَّ ٱلبرُوفيسُور في حَديثِهِ فَقالَ : « إِنَّني سَعيدٌ بِمَجيئِكَ يا سَيِّدُ هُولمْز ، وَ أَنا



واثِقٌ مِنْ أَنَّكَ سَوْفَ تُساعِدُنا . »

لاحَظْتُ أَنَّ هُولمْز يُدَخِّنُ بِسُرْعَةٍ تَتَجاوَزُ عادَتَهُ في ٱلتَّدْخِينِ . فَقَدْ دَخَّنَ أَرْبَعَ سَجائِرَ قَبْلَ أَنْ يَكُفَّ ٱلبرُوفيسُور عَنِ ٱلحَدِيثِ ، وَقالَ لِلبرُوفيسُور : « أنا أَعْرِفُ أَنَّكَ كُنْتَ في فِراشِكَ حينَما قُتِلَ سْمِيث ، لِذٰلِكَ فَأَنْتَ لا تَعْرِفُ أَيَّ شَيْءٍ عَنِ ٱلحادِثِ ، وَلٰكِنْ هَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تُخْبِرَني ماذا كانَتْ تَعْني آخِرُ كَلِماتٍ تَفَوَّهَ بِها ، وَهي ٱلبرُوفيسُور ... إنَّها هِيَ .. ؟ »

قالَ ٱلبروفيسُور : « لا ،لا أَسْتَطيعُ . وَلٰكِنْ لا تَنْسَ أَنَّ سُوزان تارلْتون مُجَرَّدُ فَتاةٍ صَغيرةٍ . وَلَعَلَّها لَمْ تَسْتَمِعْ جَيِّدًا إلى ما نَطَقَ بِهِ . إنَّني مُتَأَكِّدٌ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ بِوُضوحٍ . لا تَنْسَ أَنَّهُ كانَ يُحْتَضَرُ . »

كانَ ٱلسُّؤالُ ٱلتَّالي لِهُولمْز هُوَ : « هَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تُفَكِّرَ في أَيِّ سَبَبٍ لِقَتْلِهِ ؟ »

أَجابَهُ ٱلبرُوفيسُور : « إنَّ ٱلَّذي سَأَقولُهُ إنَّما أَقولُهُ لَكَ أَنْتَ ، وَلَيْسَ لِأَيِّ أَحَدٍ غَيْرِكَ ، ذٰلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِمَّا يَحْسُنُ قَوْلُهُ . أنا لا أُريدُ أَنْ يُسيءَ ٱلنَّاسُ ٱلظَّنَّ بالسَّيِّدِ سْميث ، وَلٰكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّهُ ٱنْتَحَرَ . وَأَظُنُّ أَنَّهُ كانَ عاشِقًا : لَقَدْ كانَ يَحْتَفِظُ بِنَظَّارةِ إحْدى ٱلسَّيِّداتِ ، وَلَعَلَّهُ كانَ مَشْغوفًا بِحُبِّها ، وَلٰكِنَّها لَمْ تُبادِلْهُ ٱلحُبَّ فَٱنْتَحَرَ . إنَّ كَثيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ يَنْتَحِرونَ لِهٰذا ٱلسَّبَبِ . »

بَدَتْ على هُولمْز ٱلدَّهْشةُ حينَما سَمِعَ هٰذِهِ ٱلفِكْرةَ ، فَأَخَذَ يُفَكِّرُ وَيَتَمَشَّى في ٱلحُجْرةِ جَيْئَةً وَذَهابًا وَهُوَ صامِتٌ . وَأَخيرًا خاطَبَ

ٱلبرُوفيسُور قائِلًا : « ماذا في ٱلصُّوانِ ٱلمَوْجودِ في ٱلحُجْرةِ ٱلَّتي ماتَ فيها سْميث ؟ »

أَجابَ ٱلبرُوفيسُور : « لا شَيْءَ مِمَّا يُغْري لِصًّا يا سَيِّدُ هُولمْز . مُجَرَّدُ أَوْراقٍ وَرَسائِلَ مِنْ زَوْجَتي ٱلمِسْكينةِ . إنَّها ٱلآنَ في عِدادِ ٱلأَمْواتِ .. تَسْتَطيعُ أَنْ تُلْقِيَ نَظْرةً عَلى ما في ٱلصُّوانِ إذا شِئْتَ . هاكَ ٱلمِفْتاحَ . »

تَناوَلَ هُولمْز ٱلمِفْتاحَ وَأَمْعَنَ ٱلنَّظَرَ فيهِ بُرْهَةً ثُمَّ قالَ : « لا ، لَسْتُ أَعْتَقِدُ أَنِّي في حاجةٍ إلى إلْقاءِ نَظْرةٍ عَلى ما في ٱلصُّوانِ ، وَلَعَلَّكَ عَلى صَوابٍ فيما قُلْتَ عَنْ سْميث يا برُوفيسُور كُوارم . وَلَسَوْفَ أُفَكِّرُ في وِجْهةِ نَظَرِكَ ، وَرُبَّما كَوَّنْتُ رَأْيًا في ٱلقَضِيَّةِ أَعْرِضُهُ عَلَيْكَ بَعْدَ أَنْ أَتَناوَلَ بَعْضَ ٱلطَّعامِ . سَأَراكَ ثانِيةً ، وَلٰكِنِّي لَنْ أَحْضُرَ قَبْلَ ٱلسَّاعةِ ٱلثَّانِيَةِ ، فَأَنا واثِقٌ أَنَّكَ في حاجةٍ إلى شَيْءٍ مِنَ ٱلرَّاحةِ . »

بَدا ٱلبرُوفيسُور مَسْرورًا حينَما قالَ هُولمْز ذٰلِكَ ، فَعَقَّبَ قائِلًا : « نَعَمْ إنَّني مُرْهَقٌ ، فَأَرْجو أَلَّا تَحْضُرَ إلَيَّ حَتَّى ٱلسَّاعةِ ٱلثَّانِيةِ ، فَإنَّني أُريدُ أَنْ أَخْلُوَ إلى نَفْسي . »

أَخَذْنا نَتَمَشَّى – أنا وَهُولمْز – في ٱلحَديقةِ . وَلَمْ يَكُنْ يَبْدو سَعيدًا وَلا مُهْتَمًّا بِالقَضِيَّةِ ، فَسَأَلْتُهُ : « أَتَظُنُّ أَنَّكَ تَسْتَطيعُ أَنْ تُكَوِّنَ رَأْيًا في ٱلقَضِيَّةِ ٱلآنَ يا هُولمْز ؟ »

أَجابَ : « لَسْتُ مُتَأَكِّدًا ، وَلٰكِنْ هٰذِهِ ٱلسَّجائِرُ ٱلَّتي دَخَّنْتُها رُبَّما

تُساعِدُنا . »

قُلْتُ لَهُ : « أَحقًّا ؟ كَيْفَ ؟ »

قالَ : « سَوْفَ تَرى فيما بَعْدُ ، أَمّا ٱلآنَ فَها هِيَ ذي ٱلسَّيِّدةُ ماركَر . سَوْفَ أَتَحدَّثُ إِلَيْها لِمُدَّةِ خَمْسِ دَقائِقَ . »

أَخَذَ يَتَحدَّثُ مَعَ ٱلطّاهِيةِ ، فَقالَ لها : « أَظُنُّ أَنَّ ٱلبروفيسّور لا يُقْبِلُ على ٱلطَّعامِ كَثيرًا ، فَقَدْ جَرَتِ ٱلعادةُ أَنَّ أُولٰئِكَ ٱلَّذينَ يُدَخِّنونَ كَثيرًا ، يَأْكُلونَ قَليلًا . وَٱليَوْمَ رَأَيْتُهُ يُدَخِّنُ عَدَدًا كَبيرًا مِنَ ٱلسَّجائِرِ ، وَلِذٰلِكَ فَهُوَ لَمْ يَرْغَبْ في تَناوُلِ أَيِّ إِفْطارٍ . »

رَدَّتِ ٱلطّاهِيةُ : « أَنْتَ مُخْطِئٌ يا سَيِّدي . لَقَدْ تَناوَلَ إِفْطارًا كَبيرًا ، ثُمَّ طَلَبَ مِنّي أَنْ أُعِدَّ لَهُ وَجْبةً أُخْرى . إِنَّ هٰذا يُحَيِّرُني ، فَأَنا حينَ عَلِمْتُ أَنَّ ٱلسَّيِّدَ سْميث ٱلمِسْكينَ قَدْ ماتَ فَقَدْتُ شَهِيَّتي لِلأَكْلِ . إِنَّ ٱلبروفيسّور رَجُلٌ غَريبٌ . »

بَعْدَ هٰذا لَمْ يَتَحدَّثْ هُولمْز كَثيرًا ، وَبَدا عَلَيْهِ أَنَّهُ لَيْسَ هُناكَ ما يَسْتَحِقُّ ٱهْتِمامَهُ ، وَكانَ ٱلشَّخْصُ ٱلوَحيدُ ٱلَّذي ٱسْتَمَعَ إِلَيْهِ هُولمْز هُوَ سُوزان ٱلخادِمةَ ، وَقَدْ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ ٱلسَّيِّدَ سْميث كانَ قَدْ خَرَجَ إِلى ٱلقَرْيةِ في ٱلصَّباحِ قَبْلَ أَنْ يَلْقى مَصْرَعَهُ بِفَتْرةٍ قَصيرةٍ .

في ٱلسّاعةِ ٱلثّانِيةِ قالَ هُولمْز : « أَيُّها ٱلسّادةُ ، لَقَدْ حانَ ٱلوَقْتُ لِكَي نَذْهَبَ وَنَرى ٱلبروفيسّور ثانِيةً . »

الفَصْلُ ٱلرّابِعُ

كانَ ٱلرَّجُلُ ٱلمُسِنُّ قَدِ ٱنْتَهى لِتَوِّهِ مِنْ طَعامِهِ حينَما دَخَلْنا ، وَكانَتِ



الصُّحونُ نَظيفَةً ، فَقَدْ أَتى عَلى كُلِّ ما كانَ فِيها مِنْ طَعامٍ ، وَكانَ يَجْلِسُ في آنْتِظارِنا عَلى كُرْسِيٍّ ، وَقَدْ فَرَغَ مِنْ تَدْخينِ سيجارَةٍ وَبَدَأَ يُدَخِّنُ أُخْرى .

قالَ : «أَخْبِرْني يا سَيِّدُ هُولمْز ، هَلْ وَجَدْتَ حَلًّا لِلْقَضِيَّةِ ؟»

أَزاحَ عُلْبَةَ آلسَّجائِرِ تِجاهَ هُولمْز آلذي مَدَّ يَدَهُ لِيَأْخُذَ واحِدَةً . وَلٰكِنَّهُ بَدَلًا مِنْ ذٰلِكَ رَفَعَ آلعُلْبَةَ عَنِ آلمِنْضَدَةِ لِتَسْقُطَ جَميعُ آلسَّجائِرِ عَلى آلأَرْضِ ، وَسارَعْنا أَنا وَهُولمْز وَسْتانْلي هُوبْكِنْز ، فَآنْحَنَيْنا إلى آلأَرْضِ لِنَلْتَقِطَ آلسَّجائِرَ . وَعِنْدَما آنْتَهَيْنا مِنْ جَمْعِها نَهَضَ هُولمْز وَقالَ لِلْبْرُوفيسُور كُورام :
«نَعَمْ ، لَقَدْ وَجَدْتُ آلحَلَّ .»

صاحَ آلبْرُوفيسُور كُورام : «أَحَقًّا ؟ أَيْنَ وَجَدْتَهُ ؟ في آلحَديقَةِ ؟»
كانَ آلغَضَبُ بادِيًا عَلى وَجْهِهِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ إلى هُولمْز ، فَقالَ صَديقي :
«لا ، إنَّ آلحَلَّ هُنا في حُجْرَتِكَ .»

قالَ البْرُوفيسُور: «مَتى وَجَدْتَ هٰذا آلحَلَّ ؟»

قالَ هُولمْز : «مُنْذُ دَقيقَتَيْنِ .»

حينَئِذٍ قالَ آلبْرُوفيسُور : «أَنا واثِقٌ أَنَّكَ لَسْتَ جادًّا يا سَيِّدُ هُولمْز . إنَّها قَضِيَّةٌ لَها أَهَمِّيَّتُها . لَقَدْ ماتَ سْمِيث ، فَبِاللهِ عَلَيْكَ لا تَكُنْ هازِلًا .»

قالَ هُولمْز : «إنِّي لا أَهْزِلُ . إنَّني واثِقٌ مِمَّا أَقولُ . صَحيحٌ أَنِّي لا أَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدُ ، وَلٰكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ فَعَلْتَ أَمْرًا سَيِّئًا ، وَسَوْفَ أُخْبِرُكَ بِما أَعْتَقِدُهُ :

«بِالأَمْسِ جاءَتْ سَيِّدَةٌ إلى مَنْزِلِكَ ، وَآتَّجَهَتْ إلى آلحُجْرَةِ آلَّتي بِها آلصُّوانُ ، وَكانَتْ قَدْ أَحْضَرَتْ مَعَها مِفْتاحَها آلخاصَّ ، وَأَرادَتْ أَنْ تَفْتَحَ آلصُّوانَ ، وَلٰكِنَّ آلمِفْتاحَ كانَ جَديدًا حادَّ آلسِّنِّ ، فَتَرَكَ أَثَرًا عَلى آلقُفْلِ آلنُّحاسِيِّ لِبابِ آلصُّوانِ ، وَحينَما أَعْطَيْتَني مِفْتاحَكَ هٰذا آلصَّباحَ لاحَظْتُ أَنَّ سِنَّهُ لَيْسَتْ حادَّةً ، وَمَعْنى هٰذا أَنَّ آلسَّيِّدَةَ لَمْ تَسْتَخْدِمْ مِفْتاحَكَ ، وَلِذٰلِكَ أَعْتَقِدُ أَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ بِمَقْدَمِها إلى آلمَنْزِلِ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ قُدومَها كانَ بِقَصْدِ سَرِقَةِ شَيْءٍ ما مِنَ آلصُّوانِ .»

قالَ كُورام : «كُلُّ هٰذا شائِقٌ جِدًّا . وَلٰكِنْ لَعَلَّكَ تَسْتَطيعُ أَنْ تُخْبِرَنا بِالمَزيدِ . تُرى ما آلَّذي حَدَثَ لِهٰذِهِ آلسَّيِّدَةِ بَعْدَ ذٰلِكَ ؟»

أَجابَ هُولمْز : «سَأُحاوِلُ أَنْ أُخْبِرَكَ : لَقَدْ جاءَ سِكْرِتيرُكَ إلى آلحُجْرَةِ وَفاجَأَها هُناكَ ؛ فَقَتَلَتْهُ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ ذٰلِكَ كانَ غَلْطَةً ، فَلَوْ أَنَّها كانَتْ قَدْ بَيَّتَتِ آلنِّيَّةَ عَلى قَتْلِ أَحَدٍ لَكانَتْ قَدْ أَحْضَرَتْ مَعَها سِكِّينًا . وَلَقَدْ فَقَدَتِ آلسَّيِّدَةُ نَظّارَتَها في آلعِراكِ آلَّذي حَدَثَ ، وَلٰكِنَّها كانَتْ مُضْطَرَّةً إلى آلهُروبِ عَلى عَجَلٍ . وَنَظَرًا لِضَعْفِ بَصَرِها فَقَدِ آرْتَكَبَتْ غَلْطَةً ثانِيَةً إذْ سَلَكَتْ – حينَ أَرادَتِ آلخُروجَ – طَريقَ آلدِّهْليزِ غَيْرِ آلمُناسِبِ . وَكانَ مِنَ آليَسيرِ أَنْ تَرْتَكِبَ هٰذِهِ آلغَلْطَةَ بِسَبَبِ أَنَّ آلدِّهْليزَيْنِ يَتَشابَهانِ في لَوْنِ آلجُدْرانِ وَآلأَرْضِيَّةِ . وَلِذٰلِكَ لَمْ تَتَّجِهْ إلى آلبابِ آلخَلْفِيِّ كَما كانَتْ تَأْمُلُ ، وَإنَّما آتَّجَهَتْ إلى حُجْرَتِكَ يا بْروفيسُور .»

صاحَ آلبْرُوفيسُور وَقَدِ آمْتُقِعَ وَجْهُهُ وَبَدا عَلَيْهِ آلفَزَعُ : «هَلْ تَعْني أَنَّها



جاءَتْ إلى حُجْرَتي وَلَمْ أَرَها ؟»

قالَ هُولمْز : «لا ، أنا أَعْني أَنَّها دَخَلَتْ هُنا وَأَنَّكَ رَأَيْتَها فِعْلًا .. أَعْتَقِدُ أَنَّكَ كُنْتَ تَعْرِفُ مَنْ هِيَ ، وَأَنَّكَ تَحَدَّثْتَ إِلَيْها ، وَعاوَنْتَها ...»

أَطْلَقَ ٱلبْرُوفيسُور ضَحْكَةً عالِيَةً وَقالَ : «إِنَّكَ مَجْنونٌ يا سَيِّدُ هُولمْز ! مَجْنونٌ ! وَأَيْنَ هٰذِهِ ٱلسَّيِّدَةُ ٱلآنَ ؟»

أَشارَ هُولمْز إلى ٱلجِدارِ ٱلَّذي كانَتْ تَحْجُبُهُ رُفوفُ ٱلكُتُبِ وَقالَ : «إِنَّها هُنا !»

اِشْرَأَبَّتْ أَعْناقُنا جَميعًا إلى ٱلرُفوفِ ٱلَّتي أَشارَ إِلَيْها ، فَلَمْ تَقَعْ عُيونُنا إِلَّا عَلى كُتُبٍ . وَفَجْأَةً رَأَيْنا خِزانَةَ ٱلكُتُبِ وَقَدْ بَدَأَتْ تَتَحَرَّكُ ، وَٱنْفَرَجَ ٱلجِدارُ كَأَنَّهُ بابٌ وَخَرَجَتْ مِنْهُ سَيِّدَةٌ إلى ٱلحُجْرَةِ ؛ وَإِذا بِالبْرُوفيسُور يَصيحُ صَيْحَةً عالِيَةً . كانَتِ ٱلسَّيِّدَةُ مُغَطّاةً بِالتُّرابِ وَٱلغُبارِ ، وَقالَتْ في صَوْتٍ غَريبٍ : «أَنا هُنا !»

الفَصْلُ ٱلخامِسُ

اتَّجَهَ هُوبكِينز إلى ٱلسَّيِّدَةِ قائِلًا : «يَجِبُ أَنْ تَأْتِيَ مَعي .»

رَدَّتْ قائِلَةً : «إِنَّني لَنْ أُحاوِلَ ٱلهَرَبَ . أَعْرِفُ أَنَّكَ تَعْرِفُ أَنَّني قَتَلْتُ سْميث . لَيْسَ لَدَيَّ فُسْحَةٌ مِنَ ٱلوَقْتِ ، وَلٰكِنِّي أُريدُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِحَقيقَةِ هٰذا ٱلرَّجُلِ .» ثُمَّ أَشارَتْ إلى ٱلبْرُوفيسُور قائِلَةً :

«إنَّهُ لَيسَ إنجليزيًّا . وَلَنْ أَذْكُرَ لَكَ ٱسْمَهُ ، فَذٰلِكَ لَيسَ ضَروريًّا .»

بَدا عَلى وَجْهِ ٱلبُروفيسُّور شَيْءٌ مِنَ ٱلرِّضا حينما قالَتْ ذٰلِكَ ، و قالَ لَها :
«شُكْرًا لَكِ يا أنَّا ... شُكْرًا لَكِ .»

نَظَرَتِ ٱلمَرْأةُ إلَيْهِ في غَضَبٍ وَ مَضَتْ تَقولُ : «لِماذا تُريدُ أَنْ تَعيشَ ؟ إنَّ حَياتَكَ لا شَيْءَ ؛ فَأَنْتَ لَسْتَ إنْسانًا . أَيُّها ٱلسَّادةُ إنَّني زَوْجةُ هٰذا ٱلرَّجُلِ ، وَ كُنَّا نَعيشُ في إحْدى ٱلمُدُنِ بِبِلادِنا .

«كُنَّا نُناضِلُ لِنَجْعَلَ مِنْ بَلَدِنا مَكانًا أَفْضَلَ . وَكانَ لَنا أَصْدِقاءُ ، وَ أَرادَتِ ٱلشُّرْطةُ أَنْ تَعْتَقِلَنا وَ تَزُجَّ بِنا في غَياهِبِ ٱلسُّجونِ أَوْ تَقْتُلَنا ، فَقَرَّرْنا أَنْ نَقْتُلَ أَحَدَ رِجالِ ٱلشُّرْطةِ لِكَيْ نُظْهِرَ أَنَّنا أَقْوِياءُ . وَ حاوَلَتِ ٱلشُّرْطةُ أَنْ تَهْتَدِيَ إلَيْنا ، فَلَمَّا عَجَزَتْ أَعْلَنَتْ عَنْ مُكافَأةٍ مالِيَّةٍ سَخِيَّةٍ تُقَدِّمُها لِمَنْ يُرْشِدُ إلى ٱلَّذي قَتَلَ رَجُلَ ٱلشُّرْطةِ .

«كانَ زَوْجي هُوَ ٱلَّذي أَرْشَدَ رِجالَ ٱلشُّرْطةِ إلى ٱسْمِ ٱلقاتِلِ ، وَ حَصَلَ عَلى ٱلمُكافَأةِ . وَ قَدْ أَدَّتْ هٰذِهِ ٱلوِشايةُ إلى وُقوعِ أَكْثَرِنا في قَبْضةِ رِجالِ ٱلشُّرْطةِ ، فَقُتِلَ بَعْضُنا ، وَ زُجَّ بِبَعْضِنا في ٱلسُّجونِ ، وَ كُنْتُ مَحْظوظةً .. إذْ حُكِمَ عَلَيَّ بِالسَّجْنِ عَشَرَةَ أَعْوامٍ . وَ كانَ مِنْ بَيْنِنا شابٌّ يُدْعى أَليكْسِس ، وَ لَمْ يَكُنْ مِنْ رَأْيِهِ أَنْ نَقْتُلَ ٱلشُّرْطِيَّ . حاوَلَ جَهْدَهُ أَنْ يَحُولَ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَتْلِهِ ، وَ كَتَبَ إلَيَّ رَسائِلَ يُناشِدُني فيها أَنْ أُقْنِعَ أَصْدِقاءَنا بِتَغْييرِ ٱلخُطَّةِ . وَلٰكِنَّ زَوْجي كانَ يَتَلَقَّى هٰذِهِ ٱلرَّسائِلَ وَ يُخْفيها عَنِّي ، فَقَدْ أَرادَ لِأَليكْسِس أَنْ يَموتَ . وَ كانَ أَليكْسِس مَحْظوظًا فَلَمْ يَقْتُلوهُ وَ إنَّما حَكَموا عَلَيْهِ بالسَّجْنِ

مُدَّةً طَويلةً جِدًّا ، وَلا يَزالُ في ٱلسِّجْنِ حَتَّى ٱليَوْمِ . وَ سَوْفَ يَظَلُّ فيهِ عِشْرينَ عامًا عَلى ٱلأَقَلِّ .»

نَظَرَتْ إلى ٱلبُروفيسُّور في غَضَبٍ شَديدٍ وَ قالَتْ : «نَعَمْ إنَّهُ في ٱلسِّجْنِ ، وَ أَنْتَ هُنا طَليقٌ أَيُّها ٱلحَقيرُ .»

كانَ وَجْهُ ٱلسَّيِّدةِ مُمْتَقِعًا ، وَ بَدَتْ واهِنةً مَريضةً . قالَتْ : «لا بُدَّ أَنْ أُنْهِيَ كَلامي بِسُرْعةٍ . لَقَدْ خَرَجْتُ مِنَ ٱلسِّجْنِ في ٱلعامِ ٱلماضي ، وَ أَرَدْتُ ٱلحُصولَ عَلى ٱلرَّسائِلِ ٱلَّتي كانَ أَليكْسِس قَدْ بَعَثَ بِها إلَيَّ . وَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ إذا ٱطَّلَعَتِ ٱلشُّرْطةُ عَلَيْها ، فَسَوْفَ تَعْرِفُ أَنَّ أَليكْسِس حاوَلَ أَنْ يَمْنَعَنا مِنْ قَتْلِ رَجُلِ ٱلشُّرْطةِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ يُطْلِقونَ سَراحَهُ .

«لَقَدْ جِئْتُ إلى انْجِلْتِرا لِلْبَحْثِ عَنْ زَوْجي ، وَلَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَيْنَ يُقيمُ ، وَ قَضَيْتُ وَقْتًا طَويلًا حَتَّى ٱسْتَطَعْتُ أَنْ أَهْتَدِيَ إلي يوكْسلي أولْد بْليس . وَ حينَ ٱهْتَدَيْتُ إلَيْهِ أَرْسَلْتُ رَجُلًا إلى هُنا . وَهوَ ٱلسِّكْرِتيرُ ٱلأَوَّلُ ٱلَّذي عَمِلَ هُنا قَبْلَ سْميث ، وَقَدِ ٱكْتَشَفَ ٱلرَّجُلُ ٱلمَكانَ ٱلَّذي يَحْتَفِظُ فيهِ زَوْجي بالرَّسائِلِ ، وَ صَنَعَ مِفْتاحًا جَديدًا وَ جاءَ بِهِ إلَيَّ ، وَلٰكِنَّهُ تَخَلَّى عَنْ مُساعَدَتي بَعْدَ ذٰلِكَ ، إذِ ٱعْتَقَدَ أَنَّني أُريدُ أَنْ أَقْتُلَ زَوْجي ، وَلِذٰلِكَ كانَ عَلَيَّ أَنْ أَحْضُرَ بِنَفْسي . وَ في طَريقي إلى ٱلمَنْزِلِ ٱلْتَقَيْتُ ٱلسَّيِّدَ سْميث ، وَ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَنَّهُ يَعْمَلُ مَعَ زَوْجي ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَكانِ إقامةِ ٱلبُروفيسُّور .»

قالَ هُولْمْز : «نَعَمْ ، أَعْتَقِدُ أَنَّهُ عادَ إلى هُنا وَ أَخْبَرَ ٱلبُروفيسُّور أَنَّهُ قابَلَكِ ، وَ ذٰلِكَ هُوَ ٱلسَّبَبُ في أَنَّهُ قالَ قَبْلَ أَنْ يَموتَ : «ٱلبُروفيسُّور .. إنَّها هِيَ ..»

لَقَدْ كانَ يَعنيكِ أَنْتِ ٱلسَّيِّدَةَ ٱلَّتي كانَ قَدْ تَحَدَّثَ إِلَيْها في ذٰلِكَ ٱلصَّباحِ . »

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ ، وَ قَدْ بَدا وَجْهُها أَكْثَرَ شُحوبًا وَ ٱمْتِقاعًا مِنْ ذي قَبْلُ : « لا بُدَّ أَنْ تَدَعَني أُتِمُّ حَديثي . إِنَّني لَمْ أَكُنْ أُريدُ أَنْ أَقْتُلَ سْميث ، وَ إِنَّما ضَرَبْتُهُ بالسكّينِ لِأَنَّهُ كانَ ٱلشَّيْءَ ٱلوَحيدَ فَوْقَ ٱلمِنْضَدَةِ .. كانَ أَوَّلَ شَيْءٍ وَقَعَتْ عَلَيْهِ عَيْناي . وَ بَعْدَ أَنْ طَعَنْتُهُ جَرَيْتُ إِلى خارِجِ ٱلحُجْرَةِ ، وَ لٰكِنَّني كُنْتُ قَدْ فَقَدْتُ نَظّارَتي فَٱرْتَكَبْتُ غَلْطَةً ، إِذْ لَمْ أَكُنْ قادِرةً عَلى ٱلرُّؤْيَةِ بوضوحٍ . وَ هٰكَذا لَمْ أَسْلُكِ ٱلدِّهْليزَ ٱلمُناسِبَ ، وَ وَجَدْتُ نَفْسي أَدْخُلُ هٰذِهِ ٱلحُجْرَةَ .

« وَ حينَ رَآني زَوْجي أَصابَهُ ٱلذُّعْرُ وَ ٱلغَضَبُ ، وَ هَدَّدَ بِأَنَّهُ سَوْفَ يُسَلِّمُني إِلى ٱلشُّرْطَةِ ، وَ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يَستَطيعَ أَنْ يَفْعَلَ ذٰلِكَ . وَ لَوْ فَعَلَ لاسْتَطاعَ ٱلآخَرونَ أَنْ يَهْتَدوا إِلى مَكانِهِ ، وَ لَقَتَلوهُ .

« كُنْتُ أُريدُ أَنْ أَهْرُبَ لِكَيْ أُنْقِذَ أَليكْسِس . أَمّا زَوْجي فَكانَ يُريدُني أَنْ أَهْرُبَ بِسَبَبِ خَوْفِهِ مِنْ أَصْدِقائي ؛ وَ لِهٰذا قَرَّرَ أَنْ يُبْقِيَني في هٰذِهِ ٱلحُجْرَةِ مُسْتَخْفِيَةً حَتّى يَذْهَبَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ . وَ هُوَ وَحْدَهُ ٱلَّذي يَعْلَمُ أَنَّ وَراءَ رُفوفِ ٱلكُتُبِ مَكانًا سِرِّيًّا يُمْكِنُ أَنْ أَخْتَبِئَ فيهِ ، وَ قَدْ بَقيتُ فيهِ ساعاتٍ طَويلةً ، وَ كانَ ٱلبروفيسور يَطْلُبُ كَمِّيّاتٍ مِنَ ٱلطَّعامِ كَبيرةً حَتّى يُوَفِّرَ لي بَعْضًا مِنْهُ . وَ قالَ إِنَّني أَسْتَطيعُ أَنْ أُغادِرَ ٱلمَنْزِلَ بِمُجَرَّدِ ذَهابِ ٱلشُّرْطَةِ . وَ وَعَدَ بِأَنَّهُ لَنْ يَبوحَ بِشَيْءٍ عَنِ الحادِثِ . »

قَدَّمَتِ ٱلسَّيِّدَةُ لِهولمز بَعْضَ ٱلأَوْراقِ وَ قالَتْ : « أَرْجو أَنْ تَأْخُذَ هٰذِهِ إِلى

ٱلعُنْوانِ ٱلمُبَيَّنِ عَلَيْها ، فَإِذا فَعَلْتَ ذٰلِكَ فَإِنَّهُمْ سَوْفَ يُطْلِقونَ سَراحَ أَليكْسِس مِنَ ٱلسِّجْنِ .. كَلِمَتي ٱلأَخيرةُ يا سَيِّدُ هولمز .. عَلَيْكَ .. عَلَيْكَ .. أَنْ تُساعِدَني ... »

لَمْ تَكَدِ ٱلسَّيِّدَةُ تُتِمُّ كَلامَها حَتّى سَقَطَتْ عَلى ٱلأَرْضِ ، فَٱنْحَنى هولمز بِسُرْعةٍ ، وَ ٱنْتَزَعَ مِنْ يَدِها زُجاجةً صَغيرةً ، وَ كانَتْ فارِغةً .قالَ هولمز : « لَقَدْ ماتَتْ يا واطسُن ... لَقَدْ تَناوَلَتِ ٱلسُّمَّ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مَخْبَئِها . »

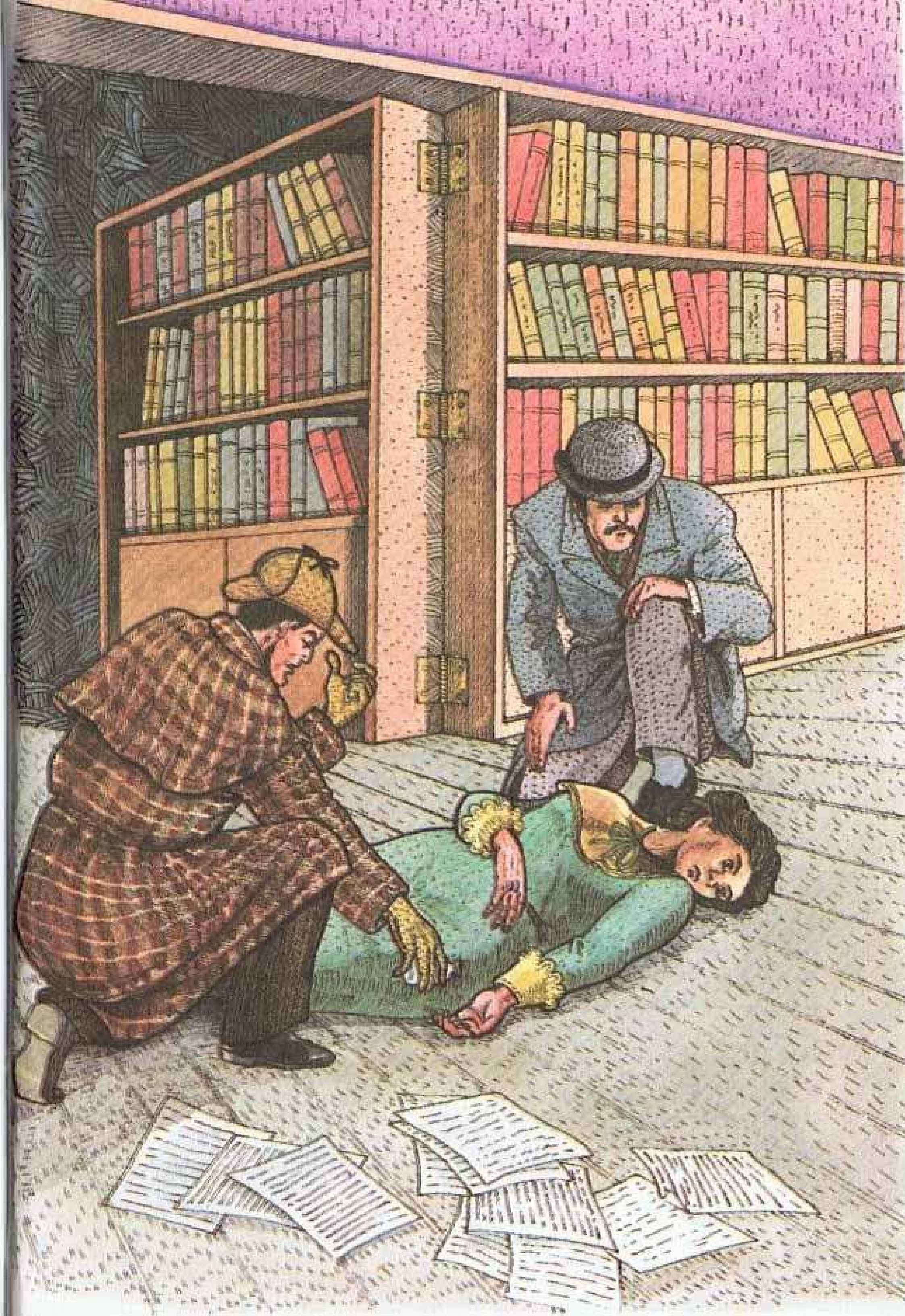
الفَصْلُ ٱلسّادِسُ

كانَتْ هُناكَ بَعْضُ ٱلإِجْراءاتِ عَلَيْنا أَنْ نَقومَ بِها – أَنا وَ هولمز وَ هوپكِينز – في يوكسلي . فَلَمّا ٱنْتَهَيْنا مِنْها سارَعْنا فَأَخَذْنا ٱلقِطارَ عائِدِينَ إِلى لَنْدَن . قالَ هولمز في أَثْناءِ ٱلسَّفَرِ :

« في ٱلحَقيقةِ لَمْ تَكُنْ هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةُ صَعْبَةً وَ لٰكِنْ كانَ لِلنَّظّارَةِ قيمتُها في حَلِّها ؛ فَلَوْلاها لَما كُنْتُ أَسْتَطيعُ أَنْ أَهْتَدِيَ إِلى ٱلحَلِّ . لَقَدْ كانَ واضِحًا لي أَنَّ عَيْنَي ٱلسَّيِّدةِ كانَتا في غايَةِ ٱلضَّعْفِ . وَ مِنْ ثَمَّ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُبْصِرَ بَعْدَ أَنْ فَقَدَتْ نَظّارَتَها . وَ لَوْ كانَتْ قَدْ هَرَبَتْ مِنَ ٱلمَنْزِلِ لَتَرَكَتْ أَقْدامُها أَثَرًا عَلى ٱلمَمَرِّ ، ثُمَّ أَنَّها لَمْ تَكُنْ تَسْتَطيعُ أَنْ تَجْرِيَ عَلى ٱلعُشْبِ بِمُحاذاةِ ٱلمَمَرِّ بدونِ نَظّارَتِها ، لِأَنَّ ٱلعُشْبَ مَزْروعٌ على مِساحَةٍ قَليلَةِ ٱلعَرْضِ ، وَ لَوْ جَرَتْ فَوْقَهُ لَسَقَطَتْ أَوْ وَطِئَتْ بِقَدَمَيْها ٱلمَمَرَّ ، وَ لِهٰذا تَأَكَّد لي أَنَّها لَمْ تُغادِرِ ٱلمَنْزِلَ عَلى ٱلإِطْلاقِ .

«لَقَدْ كانَتْ هٰذِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ تَدْخُلُ فيها ٱلْمَنْزِلَ ، وَلِذٰلِكَ كانَ مِنَ ٱلسَّهْلِ أَنْ تَرْتَكِبَ غَلْطَتَها : فَالدِّهْلِيزانِ يَكادانِ يَكونانِ مُتماثِلَيْنِ . وَقَدْ سَلَكَتِ ٱلدِّهْليزَ ٱلخاطِئَ ، وَلَيْسَ هُناكَ بابٌ في حُجْرَةِ ٱلبْروفيسُور يُؤَدّي إلى ٱلحَديقَةِ ، وَقَدْ قُلْتُ في نَفْسي : لَعَلَّها لا تَزالُ في حُجْرةِ ٱلبْروفيسُور ، وَلٰكِنْ أَيْنَ ؟ وَ تَأَمَّلْتُ في أَرْضِيَّةِ ٱلحُجْرةِ فَوَجَدْتُها مَتينَةً جِدًّا ، وَ تَأَكَّدْتُ أَنَّهُ لا يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ هُناكَ مَكانٌ سِرِّيٌّ تَحْتَها . ثُمَّ تَأَمَّلْتُ في رُفوفِ ٱلكُتُبِ ، فَكَثيرًا ما يُوجَدُ مَكانٌ سِرِّيٌّ خَلْفَها في ٱلبُيوتِ ٱلقَديمَةِ . كانَتْ هُناكَ كُتُبٌ عَلى أَرْضِ ٱلحُجْرَةِ أَمامَ مُعْظَمِ ٱلرُّفوفِ إلّا في مَكانٍ واحِدٍ ، فَأَدْرَكْتُ أَنَّ ٱلرُّفوفَ في هٰذا ٱلمَكانِ قَدْ تَنْفَرِجُ كَالبابِ ، وَلِهٰذا تَعَمَّدْتُ أَنْ أُدَخِّنَ كَثيرًا مِنَ ٱلسَّجائِرِ وَتَرَكْتُ رَمادَ ٱلتَّبْغِ يَسْقُطُ فَوْقَ ٱلأَرْضِ أَمامَ هٰذِهِ ٱلرُّفوفِ . وَعِنْدَما خَرَجَتِ ٱلسَّيِّدَةُ مِنْ مَخْبَئِها لِتَناوُلِ طَعامِها ، تَرَكَتْ قَدَماها آثارًا فَوْقَ ٱلرَّمادِ . وَلَدى رُجوعِنا إلى ٱلحُجْرةِ أَسْقَطْتُ عُلْبَةَ ٱلسَّجائِرِ عَلى ٱلأَرْضِ لِكَي أوجِدَ سَبَبًا يَجْعَلُني أَنْحَني لِأَفْحَصَ رَمادَ ٱلتَّبْغِ بِعِنايَةٍ . وَحينَما رَأَيْتُ ٱلآثارَ فَوْقَهُ تَأَكَّدَ لي أَنَّها مُسْتَخْفِيَةٌ هُناكَ .»

كانَ ٱلقِطارُ قَدْ وَصَلَ إلى لَنْدَن ، فَقالَ هُولمز : «وَٱلآنَ يا هُوپكِنز .. ها نَحْنُ أولاءِ في مَحَطَّةِ تشيرِنْغ كْرُوس . أنا أَعْلَمُ أَنَّكَ يَجِبُ أَنْ تَذْهَبَ إلى سكُوتلاندْيارْد ، أَمّا أنا وَ واطْسُن فَعَلَيْنا أَنْ نَذْهَبَ إلى مَكانٍ آخَرَ لِنُسَلِّمَ ٱلأَوْراقَ .»



البَنّـاءُ ٱلمُختَفـي

الفَصـلُ ٱلأوَّلُ

قالَ لي شِرْلوك هولمْز ذاتَ صَباحٍ : « يَبْدو أَنَّهُ لَمْ تَعُدْ هُناكَ قَضايا مُثيرَةٌ في هٰذِهِ ٱلأَيّامِ يا واطْسُن ، وَ أَنَّ لَنْدَن أَصْبَحَتْ خالِيَةً مِنَ ٱلتَّشْويقِ . »

قُلْتُ لَهُ : « لَسْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ أَهْلَ لَنْدَن يُوافِقونَكَ فيما تَقولُ . »

قالَ هولمْز : « عَلى كُلِّ حالٍ يَنْبَغي أَلّا أُفَكِّرَ في مَصْلَحَتي ٱلخاصَّةِ فَحَسْبُ . » ثُمَّ تَبَسَّمَ وَ هُوَ يُزيحُ مَقْعَدَهُ إلى ما وَراءَ مائِدَةِ ٱلإفْطارِ قائِلًا : « إنَّهُ مِنَ ٱلخَيْرِ لِلْجَميعِ أَلّا يَكونَ لِرِجالِ ٱلمَباحِثِ مِنْ أَمْثالي عَمَلٌ يَشْغَلُهُمْ . » وَ تَبَسَّمْتُ أَنا كَذٰلِكَ .

لَقَدْ كانَ هُناكَ في ٱلواقِعِ عَمَلٌ دائِبٌ شَغَلَ هولمْز خِلالَ ٱلأَشْهُرِ ٱلقَليلَةِ ٱلماضِيَةِ . وَ لٰكِنْ لا بُدَّ أَنْ أَقولَ إنَّ كُلَّ شَيْءٍ كانَ يَبْدو في غايَةِ ٱلهُدوءِ في ذٰلِكَ ٱلصَّباحِ ، إذ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ عَمَلٌ مُثيرٌ يَشْغَلُنا .

عادَ هولمْز إلى ٱلجُلوسِ في مَقْعَدِهِ ، وَ ٱلتَقَطَ صَحيفَتَهُ ٱليَوْمِيَّةَ ، وَ كانَ يوشِكُ أَنْ يَبْدَأَ في قِراءَتِها حينَما سَمِعْنا جَرَسَ ٱلبابِ يَدُقُّ دَقًّا عَنيفًا ، وَ سَمِعْتُ ٱلسَّيِّدَةَ هَدْسون تَفْتَحُ ٱلبابَ – وَ هِيَ ٱلسَّيِّدَةُ ٱلَّتي تُعِدُّ لَنا ٱلطَّعامَ ، وَ تَقومُ بِأَعْمالِ ٱلنَّظافَةِ . وَ لَمْ يَكَدِ ٱلبابُ يُفْتَحُ حَتّى ٱنْدَفَعَ مِنْهُ إلى داخِلِ ٱلمَنْزِلِ شَخْصٌ ما ، وَ فَتَحَ ٱلبابَ عَلَيْنا وَ وَقَفَ أَمامَنا . كانَ يَبْدو عَلى ٱلرَّجُلِ

ٱلفَزَعُ ٱلشَّديدُ ، حَتّى لَقَدِ ٱسْتَقَرَّ في خاطِري أَنَّهُ هارِبٌ مِنْ أَمْرٍ ما ؛ إذْ كانَ يَلْهَثُ بِشِدَّةٍ ، وَ يَتَنَفَّسُ بِسُرْعَةٍ .

بَدا عَلى ٱلرَّجُلِ فَجْأَةً أَنَّهُ أَدْرَكَ أَنَّنا – أَنا وَ هولمْز – مُنْدَهِشانِ بِسَبَبِ ٱقْتِحامِهِ ٱلمَنْزِلَ بِهٰذِهِ ٱلطَّريقَةِ ، لِذٰلِكَ صاحَ قائِلًا :

« أَنا آسِفٌ يا سَيِّدُ هولمْز . لا بُدَّ أَنْ أَتَحَدَّثَ إلَيْكَ ٱلآنَ .. لا أَسْتَطيعُ ٱلانْتِظارَ .. إنَّني خائِفٌ جِدًّا .. أَنا جون هِكْتور ماكْفارْلين ، وَ أَعْتَقِدُ أَنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ بِٱسْمي . »

قالَ هولمْز : « اِجْلِسْ هادِئًا يا سَيِّدُ ماكْفارْلين . لا ، لَسْتُ أَعْرِفُ ٱسْمَكَ . وَ لٰكِنَّني أَظُنُّ أَنَّكَ لَسْتَ مُتَزَوِّجًا ، وَ أَنَّكَ تَعْمَلُ مُحامِيًا . »

بَدَتْ عَلى ٱلرَّجُلِ ٱلدَّهْشَةُ . كَيْفَ عَرَفَ هولمْز عَنْهُ ذٰلِكَ ! أَمّا أَنا فَلَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ لِيَبْعَثَ في نَفْسي أَيَّةَ دَهْشَةٍ ، إذْ كانَ هولمْز رَجُلَ مَباحِثَ مُمْتازًا ، وَ لا شَكَّ أَنَّهُ لاحَظَ ثِيابَ ٱلرَّجُلِ ٱلقَذِرَةَ ، وَ أَوْراقَ ٱلمُحامينَ ٱلَّتي يَحْمِلُها في يَدِهِ .

أَجابَ ٱلرَّجُلُ : « نَعَمْ يا سَيِّدي ، هٰذا صَحيحٌ ! وَ صَحيحٌ كَذٰلِكَ أَنَّني أَتْعَسُ إنْسانٍ في لَنْدَن ٱليَوْمَ. أَرْجوكَ يا سَيِّدُ هولمْز ، لا بُدَّ أَنْ تُساعِدَني ، فَأَنا أَعْتَقِدُ أَنَّ رِجالَ ٱلشُّرْطَةِ في طَريقِهِمِ ٱلآنَ لِكَيْ يَعْتَقِلوني ، وَ قَدْ لَمَحْتُ أَحَدَ رِجالِ ٱلمَباحِثِ يَتَعَقَّبُني مِنَ ٱلمَحَطَّةِ حَتّى بابِ مَنْزِلِكَ . أَنا لا يَهُمُّني أَنْ أُساقَ إلى ٱلسِّجْنِ إذا ما تَأَكَّدَ لي أَنَّكَ سَوْفَ تَقِفُ إلى جانِبي . »

قالَ هُولمْز وَهُوَ في غايَةِ ٱلبِشْرِ وَٱلسُّرورِ : « هَلْ رِجالُ ٱلشُّرْطةِ قادِمونَ ؟ »

كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ يَأْمُلُ أَنْ تَكونَ هُناكَ قَضِيَّةٌ مُثيرَةٌ في ٱلطَّريقِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ تَذَكَّرَ هُولمْز ٱلسَّيِّدَ ماكْفارْلين ٱلمِسْكينَ فَقالَ :

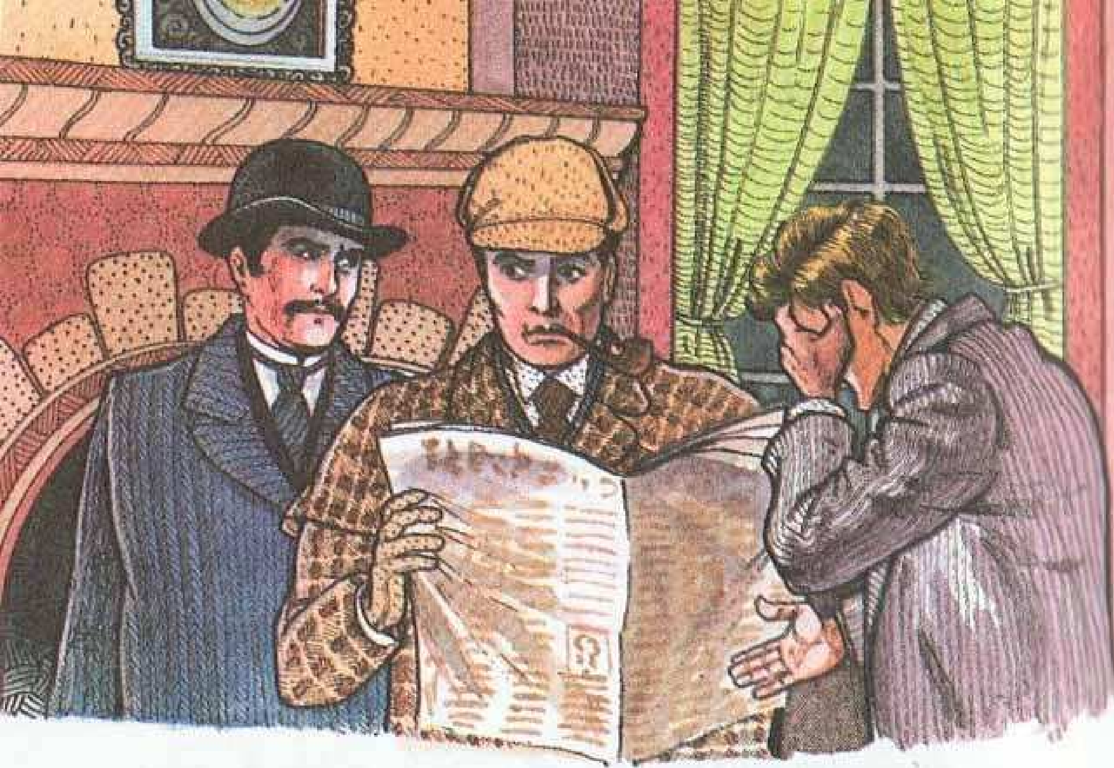
« أَنا آسِفٌ يا سَيِّدُ ماكْفارْلين إِذْ لَمْ أَكُنْ أُفَكِّرُ فيكَ هٰذِهِ ٱللَّحْظَةَ . إِنَّ ٱلأَمْرَ يَبْدو مُثيرًا حَقًّا ، لٰكِنْ لِماذا يَتَعَقَّبُكَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ ؟ »

أَجابَ : « إِنَّهُمْ يَعْتَقِدونَ أَنَّني قَتَلْتُ رَجُلًا ٱسْمُهُ جُوناس أُولْداكْر ، كانَ يُقيمُ في نُورْوُود ٱلدُّنيا . »

اِلْتَقَطَ ٱلزَّائِرُ ٱلصَّحيفةَ ٱليَوْمِيَّةَ بِيَدَيْنِ مُرْتَعِشَتَيْنِ – وَلَمْ يَكُنْ هُولمْز قَدْ قَرَأَها بَعْدُ – وَقالَ : « لَوْ أَنَّكَ تَصَفَّحْتَ صَحيفَتَكَ لَعَرَفْتَ ٱلسَّبَبَ في لُجوئي إِلَيْكَ يا سَيِّدُ هُولمْز . أَعْتَقِدُ أَنَّ كُلَّ ٱمْرِئٍ في لَنْدَن قَدْ أَصْبَحَ يَعْرِفُ ٱسْمِيَ ٱلآنَ . ٱنْظُرْ هُنا في ٱلصَّفَحاتِ ٱلدَّاخِلِيَّةِ . » وَأَخَذَ يَقْرَأُ : حَريقٌ في نُورْوُود ٱلدُّنْيا . رَجُلٌ ثَرِيٌّ يَخْتَفي . هَلْ هُوَ مَيْتٌ ؟ هَلْ قُتِلَ ؟

« تَقولُ ٱلصَّحيفةُ إِنَّ ٱلشُّرْطَةَ تَعْتَقِدُ أَنَّني قَتَلْتُ ٱلسَّيِّدَ أُولْداكْر بِهَدَفِ ٱلاِسْتيلاءِ عَلى مالِهِ . إِنَّ هٰذا ٱلخَبَرَ سَيَقَعُ عَلى أُمِّيَ ٱلمِسْكينةِ وَقْعَ ٱلصَّاعِقَةِ ، وَسَيُسَبِّبُ لَها تَعاسَةً بالِغَةً . ماذا أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْعَلَ ؟ »

نَظَرْتُ إِلى ٱلسَّيِّدِ ماكْفارْلين مُتَفَحِّصًا . كانَ رَجُلًا أَشْقَرَ ، وَقَدَّرْتُ أَنَّهُ



في حَوالَى ٱلسَّابِعَةِ وَٱلعِشْرينَ مِنَ ٱلعُمْرِ ، وَبَدا لِي مِنْ ثِيابِهِ ٱلأَنيقةِ أَنَّهُ مَوْفورُ ٱلمالِ .

قالَ هُولمْز يُخاطِبُني : « لَيْسَ لَدَيْنا فُسْحةٌ مِنَ ٱلوَقْتِ يا واطْسُن ، فَأَرْجو أَنْ تَقْرَأَ لَنا ما جاءَ في ٱلصَّحيفةِ عَنِ ٱلحادِثِ . »

قَرَأْتُ فيها ما يَلي : « في ساعَةٍ مُتَأَخِّرةٍ مِنَ ٱللَّيْلَةِ ٱلماضِيَةِ – أَوْ ساعَةٍ مُبَكِّرَةٍ مِنْ صَباحِ ٱليَوْمِ – وَقَعَ حادِثٌ في ضاحِيَةِ نُورْوُود ٱلدُّنيا . وَتَخْشى ٱلشُّرْطَةُ أَنْ يَكونَ أَحَدُ ٱلرِّجالِ مِنْ ذَوِي ٱلمَكانَةِ قَدْ لَقِيَ حَتْفَهُ في هٰذا ٱلحادِثِ .

« إنَّ جميعَ سُكَّانِ نورْوُود الدُّنيا يَعْرِفونَ اسمَ السَّيِّدِ جوناس أولْداكر البَنّاءِ الَّذي يَبْلُغُ الثّانيةَ وَالسِّتّينَ مِنْ عُمْرِهِ ، وَيَعيشُ عَزَبًا (غيرَ مُتَزَوِّجٍ) في مَنْزِلِ دِيب دِين في شارِعِ سِيدِنْهام . وَلَقَدْ كَوَّنَ السَّيِّدُ جوناس ثَرْوةً كَبيرةً مِنْ أعْمالِهِ في التَّشْييدِ وَالبِناءِ مُنْذُ كانَ شابًّا . أمّا اليَوْمَ فَقَدِ اعتزَلَ المِهْنَةَ وَلَمْ يَعُدْ يَعْمَلُ ، وَلٰكِنَّهُ لا يَزالُ يَحْتَفِظُ في الفِناءِ الخَلْفِيِّ مِنْ مَنْزِلِهِ بِكَمِّيَّةٍ مِنَ الأخْشابِ .

« في اللَّيْلَةِ الماضِيةِ - حَوالَى السّاعةِ الثّانيةَ عَشْرَةَ - شَبَّتِ النّارُ في بَعْضِ هٰذِهِ الأخْشابِ - أوْ لَعَلَّ شَخْصًا ما أشْعَلَ فيها النّارَ - وَكانَ مِنَ المُسْتَحيلِ أنْ يُخْمَدَ الحَريقُ .

« في البِدايَةِ ، كانَ الأمْرُ يَبْدو كَأنَّهُ حَريقٌ عادِيٌّ ، وَلٰكِنَّ بَعْضَهُمْ تَنَبَّهَ إلى أنَّ صاحِبَ المَنْزِلِ لَمْ يَكُنْ هُناكَ ، وَتَبَيَّنَ أنَّهُ لَمْ يَنَمْ في فِراشِهِ ، كَما وُجِدَتْ بَعْضُ أوْراقٍ هامَّةٍ فَوْقَ مِنْضَدَةٍ في إحْدى الغُرَفِ الأُخْرى . وَبَدا كَما لَوْ أنَّ عِراكًا قَدْ حَدَثَ في هٰذِهِ الغُرْفَةِ ؛ إذْ كانَتْ هُناكَ عَصًا عَلى الأرْضِ ، وَبِجوارِها بُقَعٌ مِنَ الدِّماءِ .

« لَقَدِ اكتَشَفَ رِجالُ الشُّرْطَةِ أنَّ زائِرًا جاءَ لِزِيارةِ السَّيِّدِ أولْداكر في اللَّيْلَةِ الماضِيةِ ، وَهُمْ يَعْتَقِدونَ أنَّهُ صاحِبُ العَصا الَّتي وُجِدَتْ عَلى الأرْضِ ، وَتَبَيَّنَ أنَّ هٰذا الزّائِرَ يَعْمَلُ مُحامِيًا ، وَاسْمُهُ هِكْتور ماكْفارْلين ، وَالمُتَوَقَّعُ أنَّ أمْرًا مُثيرًا سَوْفَ يَتَكَشَّفُ عَمّا قَريبٍ . »

في أسْفَلِ الصَّفْحةِ كانَتْ هُناكَ بَعْضُ مَعْلوماتٍ أُخْرى أُضيفَتْ إلى الخَبَرِ بَعْدَ ذٰلِكَ ، وَهِيَ :

« هُناكَ مَنْ يَقولونَ إنَّ السَّيِّدَ ماكْفارْلين قَدْ تَمَّ اعتِقالُهُ ، وَإذا لَمْ يَكُنْ قَدِ اعتُقِلَ فالمُؤَكَّدُ أنَّ رِجالَ الشُّرْطَةِ يَجِدُّونَ في البَحْثِ عَنْهُ . أمّا في نورْوُود - حَيْثُ وَقَعَ الحادِثُ - فَهُناكَ مَيْلٌ إلى الاعْتِقادِ أنَّ شَيْئًا قَدْ تَمَّ جَرُّهُ فَوْقَ العُشْبِ مِنَ المَنْزِلِ إلى المَكانِ الَّذي فيهِ الأخْشابُ .

« يُقالُ إنَّهُ مِنَ المُحْتَمَلِ أنَّ جُثَّةً قَدْ أُحْرِقَتْ مَعَ الأخْشابِ ، وَيَبْدو أنَّ التَّفْكيرَ يَتَّجِهُ إلى أنَّ السَّيِّدَ أولْداكر قُتِلَ في مَنْزِلِهِ ، ثُمَّ نُقِلَتْ جُثَّتُهُ إلى خارِجِ المَنْزِلِ حَيْثُ أُحْرِقَتْ . هٰذا وَيَتَوَلّى تَحْقيقَ القَضِيَّةِ السَّيِّدُ لِيستْرِيد ضابِطُ المَباحِثِ باسْكُتْلانْديارْد ، وَنَحْنُ عَلى ثِقَةٍ أنَّهُ سَوْفَ يَكْشِفُ عَنْ سَبَبِ ما حَدَثَ في وَقْتٍ قَريبٍ . »

كانَ أوَّلُ سُؤالٍ وَجَّهَهُ شِرْلُوك هُولمز إلى السَّيِّدِ ماكْفارْلين هُوَ : « لِماذا لَمْ يَقُمْ رِجالُ الشُّرْطَةِ بِاعتِقالِهِ قَبْلَ ذٰلِكَ ؟ » وَكانَ جَوابُهُ :

« إنَّني أُقيمُ مَعَ أُمّي وَأبي في بَيْتِ تُورينغْتون في بْلاك هِيث . وَلٰكِنّي لَمْ أكُنْ في البَيْتِ في اللَّيْلَةِ الماضِيةِ ، وَإنَّما قَضَيْتُ اللَّيْلَ في فُنْدُقٍ قَريبٍ مِنْ مَنْزِلِ السَّيِّدِ أولْداكر في نورْوُود ، حَيْثُ كُنْتُ قَدْ قُمْتُ بِزِيارةٍ لَهُ في وَقْتٍ مُتَأخِّرٍ مِنَ اللَّيْلِ . وَسَوْفَ تُحاوِلُ الشُّرْطَةُ هٰذا الصَّباحَ أنْ تَبْحَثَ عَنّي حَيْثُ أُقيمُ ، أوْ في مَكْتَبي ، وَلَعَلَّ رَجُلَ المَباحِثِ الَّذي تَعَقَّبَني يَحْضُرُ إلى هُنا في أثَري . »

اَلْفَصْلُ ٱلثّاني

فَجْأَةً رَنَّ جَرَسُ ٱلبابِ ٱلخارِجيِّ مَرَّةً ثانِيَةً ، وَسَمِعْنا ٱلسَّيِّدَةَ هَدْسون تَأْذَنُ لِبَعْضِ ٱلرِّجالِ بِالدُّخولِ . وَٱنفَتَحَ بابُنا لِنَرى صَديقَنا ٱلسَّيِّدَ لِيسْتْرِيد - ضابِطَ ٱلمَباحِثِ باسْكُتْلانْديارْد يَدْخُلُ إلى حَيْثُ كُنّا ، وَنَظَرَ لِيستْريد إلى ماكْفارْلين وَقالَ : « أَنْتَ جون هِكْتور ماكْفارْلين ، عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ مَعي لِأَنَّكَ قَتَلْتَ جُوناس أُولْداكر اَللَّيْلَةَ ٱلماضِيَةَ . »

نَهَضَ ماكْفارْلين مِنْ مَقْعَدِهِ وَقَدِ ٱبْيَضَّ وَجْهُهُ ، فَقالَ هُولْمْز : « اِجْلِسْ ! وَأَنْتَ يا سَيِّدُ لِيسْتْرِيد ، أَرْجو أَنْ تَجْلِسَ أَيْضًا . »

قالَ لِيسْتْرِيد : « لٰكِنّي لا بُدَّ أَنْ آخُذَ مَعي ٱلسَّيِّدَ ماكْفارْلين . »

رَدَّ هُولْمْز : « إِنَّ نِصْفَ ساعَةٍ لَنْ تَكونَ ذاتَ أَهَمِّيَّةٍ بِالنِّسْبَةِ لَكَ يا سَيِّدُ



لِيسْتْرِيد . إِنَّ ٱلسَّيِّدَ ماكْفارْلين كانَ يوشِكُ أَنْ يَقُصَّ عَلَيْنا ما حَدَثَ في ٱللَّيْلَةِ ٱلماضِيَةِ . »

قالَ لِيسْتْرِيد : « حَسَنًا يا سَيِّدُ هُولْمْز ! تَقْديرًا لِما بَيْنَنا مِنْ صَداقَةٍ ، وَلِما قَدَّمْتَ لي مِنْ مُعاوَنَةٍ فيما مَضى ، سَوْفَ أَنْتَظِرُ لِمُدَّةِ نِصْفِ ساعَةٍ فَقَطْ .. لا أَكْثَرَ . »

قالَ هُولْمْز : « شُكْرًا لَكَ . »

طَلَبَ مِنَ ٱلسَّيِّدِ ماكْفارْلين أَنْ يَقُصَّ عَلَيْنا ما حَدَثَ بِالضَّبْطِ . وَبَدَأَ ٱلسَّيِّدُ ماكْفارْلين حَديثَهُ فَقالَ :

« حَتّى صَبيحَةِ أَمْسِ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَيَّ شَيْءٍ عَنِ ٱلسَّيِّدِ أُولْداكر فيما عَدا ٱسْمَهُ ؛ فَلَقَدْ كانَ صَديقًا لِوالِدي ، وَلا شَيْءَ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ . وَلَقَدْ أَخَذَتْني دَهْشَةٌ شَديدَةٌ حينَما حَضَرَ إلى مَكْتَبي بِالأَمْسِ . وَكانَ مَعَهُ هٰذِهِ ٱلأَوْراقُ ٱلَّتي تَرَوْنَها ، وَقالَ إِنَّها تَتَضَمَّنُ وَصِيَّتَهُ . وَبِما أَنَّني مُحامٍ ، فَقَدْ طَلَبَ مِنّي أَنْ أَنْسَخَ لَهُ صورَةً مُطابِقَةً مِنْها ، وَأَبْدى رَغْبَتَهُ في أَنْ يَنْتَظِرَ حَتّى أَفْرَغَ مِنْ نَسْخِها .

« حينَ شَرَعْتُ في ٱلعَمَلِ سُرْعانَ ما تَبَيَّنَ لي أَنَّهُ يُريدُ أَنْ أَرِثَ كُلَّ أَمْوالِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَلَمْ أَفْهَمِ ٱلسَّبَبَ ٱلَّذي دَعاهُ إلى هٰذا ٱلتَّصَرُّفِ . فَلَمّا سَأَلْتُهُ أَجابَ بِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ يَرِثُهُ ، وَلَمّا كانَ صَديقًا لِأَبي فَقَدِ ٱتَّجَهَتْ رَغْبَتُهُ إلى أَنْ يُوَرِّثَني مالَهُ . وَبِالطَّبْعِ ، شَكَرْتُ لَهُ هٰذا ٱلعَطْفَ الكَبيرَ ، وَلٰكِنَّ دَهْشَتِيَ ٱلشَّديدَةَ لَمْ تُفارِقْني .

«لَمَّا فَرَغْتُ مِنْ نَسْخِ صورَةِ ٱلوَصِيَّةِ بِقَدْرِ ما أَمْكَنَني مِنْ سُرْعَةٍ ، طَلَبَ مِنِّي أَنْ أَحْضُرَ إلى مَنْزِلِهِ لَيْلًا لِكَيْ يُطْلِعَني عَلى بَعْضِ ٱلأَوْراقِ ٱلمُهِمَّةِ . وَكانَ آخِرُ ما قالَهُ لي هُوَ : «أَرْجو أَلَّا تُطْلِعَ عَلى هٰذا ٱلأَمْرِ أُمَّكَ أَوْ أَباكَ ، فَإِنَّني أُريدُ أَنْ يَكونَ مُفاجَأَةً لَهُما .»

اسْتَمَرَّ ماكْفارْلين في حَديثِهِ فَقالَ : «لَقَدْ كانَ كَريمًا عَطوفًا مَعي ، حَتَّى إِنَّني عَزَمْتُ عَلى أَنْ أُنَفِّذَ ما طَلَبَهُ تَمامًا . وَهٰكَذا زَعَمْتُ لِأَبي أَنَّ لَدَيَّ عَمَلًا مُهِمًّا لا بُدَّ أَنْ أُنْجِزَهُ ، وَأَنَّني بِسَبَبِ ذٰلِكَ قَدْ أَتَأَخَّرُ طَويلًا في ٱلعَوْدَةِ إِلى ٱلبَيْتِ لَيْلًا .

«كانَ ٱلسَّيِّدُ أُولْداكَر قَدْ دَعاني لِتَناوُلِ ٱلعَشاءِ مَعَهُ في ٱلسَّاعَةِ ٱلتَّاسِعَةِ مَساءً ، وَلٰكِنَّ ٱلاهْتِداءَ إِلى مَسْكَنِهِ ٱسْتَغْرَقَ مِنِّي وَقْتًا طَويلًا . لِذٰلِكَ لَمْ أَصِلْ إِلَيْهِ إِلَّا في ٱلتَّاسِعَةِ وَٱلنِّصْفِ . وَحينَما ٱلْتَقَيْتُ بِٱلسَّيِّدِ أُولْداكَر ...»

هُنا صاحَ شِرْلوك هُولمز : «مَهْلًا ! مَنِ ٱلَّذي فَتَحَ ٱلبابَ ؟»

أَجابَ ٱلسَّيِّدُ ماكْفارْلين : «سَيِّدَةٌ عَجوزٌ . أَعْتَقِدُ أَنَّها تَعْمَلُ لَدى ٱلسَّيِّدِ أُولْداكَر .»

سَأَلَهُ هُولمز : «هَلْ هِيَ ٱلَّتي أَخْبَرَتِ ٱلسَّيِّدَ أُولْداكَر أَنَّكَ وَصَلْتَ ؟»

أَجابَ : «نَعَمْ ، ثُمَّ أَخَذَتْني إِلى حُجْرَةٍ ، حَيْثُ كانَ هُناكَ طَعامٌ بَسيطٌ عَلى ٱلمائِدَةِ في ٱنْتِظاري ، فَأَكَلْتُ بَعْضًا مِنْهُ ، ثُمَّ أَخَذَني ٱلسَّيِّدُ أُولْداكَر إِلى حُجْرَةِ نَوْمِهِ ، وَكانَ فيها صُوانٌ مَتينٌ ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ كَمِّيَّةً مِنَ ٱلأَوْراقِ عَكَفْنا

عَلى ٱلعَمَلِ فيها لِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ . وَلَمْ نَنْتَهِ مِنَ ٱلعَمَلِ إِلَّا حَوالَى ٱلسَّاعَةِ ٱلحادِيَةَ عَشْرَةَ وَٱلنِّصْفِ . لِذٰلِكَ قالَ ٱلسَّيِّدُ أُولْداكَر إِنَّهُ يَحْسُنُ – عِنْدَ مُغادَرَتي – أَنْ أَخْرُجَ بِهُدوءٍ مِنَ ٱلبابِ ٱلخَلْفِيِّ ، حَيْثُ إِنَّ ٱلسَّيِّدَةَ ٱلعَجوزَ نائِمَةٌ .

«حينَما تَأَهَّبْتُ لِلْخُروجِ لَمْ أَجِدْ عَصايَ ، فَقالَ لِيَ ٱلسَّيِّدُ أُولْداكَر : «لا تَدَعْ أَمْرَ ٱلعَصا يَشْغَلُكَ يا بُنَيَّ . تَسْتَطيعُ أَنْ تَحْضُرَ لِأَخْذِها فيما بَعْدُ ، وَآمُلُ أَنْ تَزورَني مِنْ آنٍ لِآخَرَ مِنَ ٱلآنَ فَصاعِدًا .»

«عِنْدَما تَرَكْتُهُ كانَ ٱلصُّوانُ مَفْتوحًا ، وَكانَتِ ٱلأَوْراقُ عَلى ٱلمِنْضَدَةِ . وَلَمَّا كانَ ٱلوَقْتُ قَدْ تَأَخَّرَ كَثيرًا ، لَمْ أَسْتَطِعِ ٱلعَوْدَةَ إِلى بْلاك هيث . وَآثَرْتُ أَنْ أَقْضِيَ بَقِيَّةَ ٱللَّيْلِ في فُنْدُقِ أَنْرلي آرمز في نُورْوُود . وَلَمْ أَعْلَمْ شَيْئًا عَنِ الحادِثِ حَتَّى قَرَأْتُ عَنْهُ في صُحُفِ ٱلصَّباحِ .»

تَوَقَّفَ ٱلسَّيِّدُ ماكْفارْلين عَنِ ٱلحَديثِ ، فَقالَ لِيسْتْريد : «هَلْ لَدَيْكَ أَسْئِلَةٌ أُخْرى يا سَيِّدُ هُولمز ؟»

قالَ هُولمْز : «لا ، وَلٰكِنِّي أُريدُ أَنْ أَذْهَبَ إِلى بْلاك هيث أَوَّلًا .»

سَأَلَهُ لِيسْتْريد : «أَلَسْتَ تَعْني نُورْوُود ؟»

أَجابَ هُولمز وَهُوَ يَبْتَسِمُ لِلِيسْتْريد : «رُبَّما !»

بَدا عَلى ضابِطِ ٱلمَباحِثِ أَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ ما يُريدُهُ هُولمز . وَٱلواقِعُ أَنَّ هُولمز كانَ ذا قُدْرَةٍ عَلى تَفَهُّمِ ٱلأَشْياءِ بِأَسْرَعَ مِمَّا يَسْتَطيعُ لِيسْتْريد . وَكانَ لِيسْتْريد يَعْرِفُ هٰذا عَنْ هُولمز .

قالَ لِيسْترِيد لِلسَّيِّدِ ماكْفارْلين : « هُناكَ شُرْطِيّانِ يَنْتَظِرانِكَ في آلخارِجِ ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَذْهَبَ مَعَهُما آلآنَ . »

اِقْتادَ آلشُّرْطِيّانِ آلسَّيِّدَ ماكْفارْلين وَوَجْهُهُ لا يَزالُ شاحِبًا ، وَكانَ يَنْظُرُ إلى هُولمْز في حُزْنٍ شَديدٍ ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا .

الفَصْـــلُ آلثَّـــالِثُ

بَعْدَ ذَهابِ ماكْفارْلين بَقِيَ لِيسْترِيد مَعَنا ، وَتَناوَلَ هُولمْز آلأَوْراقَ آلَّتي تَرَكَها آلمُحامي فَأَلْقى عَلَيْها نَظْرَةً ، ثُمَّ قَدَّمَها إلى لِيسْترِيد قائِلًا :

« إِنَّها ذاتُ أَهَمِّيَّةٍ كَبيرَةٍ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ يا لِيسْترِيد ؟ »

نَظَرَ لِيسْترِيد إلى آلأَوْراقِ لَحَظاتٍ ثُمَّ قالَ : « إِنَّني أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْهَمَ آلأَسْطُرَ آلقَليلَةَ آلأُولى تَمامًا ؛ إِذْ إِنَّ آلكِتابَةَ واضِحَةٌ ، أَمّا بَعْدَ ذٰلِكَ فَإِنَّ آلكِتابَةَ في غايَةِ آلرَّداءَةِ حَتّى إِنَّني لا أَسْتَطيعُ قِراءَتَها . ثُمَّ يَلي ذٰلِكَ بِضْعَةُ أَسْطُرٍ أُخْرى قَليلَةٍ تَتَّضِحُ فيها آلكِتابَةُ ، ثُمَّ تَعودُ إلى آلرَّداءَةِ مِنْ جَديدٍ . »

قالَ هُولمْز : « تُرى ما سَبَبُ ذٰلِكَ ؟ »

رَدَّدَ لِيسْترِيد السُّؤالَ نَفْسَهُ : « ما سَبَبُ ذٰلِكَ ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « إِنَّ آلإِجابَةَ في غايَةِ آلبَساطَةِ : كَتَبَها آلسَّيِّدُ أُولْداكر وَهُوَ في آلقِطارِ حينَما كانَ قادِمًا إلى لَنْدَن لِيَرى آلسَّيِّدَ ماكْفارْلين ، وَقَدْ كَتَبَ

آلأَجْزاءَ آلواضِحَةَ عِنْدَما كانَ آلقِطارُ يَتَوَقَّفُ في آلمَحَطّاتِ ، وَكَتَبَ آلأَجْزاءَ آلرَّديئَةَ أَثْناءَ تَحَرُّكِ آلقِطارِ . »

ضَحِكَ آلسَّيِّدُ لِيسْترِيد ثُمَّ قالَ : « حَسَنٌ جِدًّا يا سَيِّدُ هُولمْز ، وَلٰكِنْ كَيْفَ نَنْتَفِعُ بِهٰذا في آلقَضِيَّةِ آلَّتي أَمامَنا ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِمّا يَدْعو إلى آلدَّهْشَةِ أَنْ يَقومَ أَحَدُ آلنّاسِ بِكِتابَةِ وَصِيَّتِهِ في آلقِطارِ . إِنَّ آلأَمْرَ لَيَبْدو وَكَأَنَّ آلسَّيِّدَ أُولْداكر لَمْ يَكُنْ يُفَكِّرُ في مَوْضوعِ آلوَصِيَّةِ بِجِدِّيَّةٍ ، أَوِ آهْتِمامٍ . »

قالَ لِيسْترِيد : « لَقَدْ كانَ آلأَمْرُ ذا أَهَمِّيَّةٍ كَبيرَةٍ بِالنِّسْبَةِ لَهُ . أَلَمْ تَكُنِ آلوَصِيَّةُ هِيَ آلسَّبَبَ آلَّذي أَدّى بِهِ إلى أَنْ يَكونَ آلآنَ في عِدادِ آلأَمْواتِ ؟ »

سَأَلَهُ هُولمْز : « أَوَ تَظُنُّ آلأَمْرَ كَذٰلِكَ ؟ »

قالَ لِيسْترِيد : « وَهَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ غَيْرُ ذٰلِكَ ؟ »

أُجابَ هُولمْز : « هٰذا مُحْتَمَلٌ ، وَلٰكِنَّ آلمَسْأَلَةَ في نَظَري لَيْسَتْ واضِحَةً آلوُضوحَ آلكافي بَعْدُ . »

قالَ لِيسْترِيد : « لَيْسَتْ واضِحَةً ؟! إِنَّها واضِحَةٌ كُلَّ آلوُضوحِ في نَظَري . عِنْدَما عَرَفَ آلسَّيِّدُ ماكْفارْلين أَنَّهُ سَوْفَ يَحْصُلُ عَلى أَمْوالِ آلسَّيِّدِ أُولْداكر ذَهَبَ إلى نُورْوُود وَقَتَلَهُ ، ثُمَّ أَحْرَقَ جُثَّتَهُ مَعَ آلأَخْشابِ . وَكانَ يَأْمُلُ أَلّا يَعْلَمَ أَحَدٌ ما حَدَثَ لِلسَّيِّدِ أُولْداكر ، عَلى أَساسِ أَنَّهُ لَنْ يَهْتَدِيَ أَحَدٌ إلى أَثَرٍ مِنْ مَعالِمِ آلجَريمَةِ . إِنَّ آلأَمْرَ – بِالنِّسْبَةِ لي – في غايَةِ آلبَساطَةِ . »

قالَ هُولمْز : « في غايةِ ٱلبَساطةِ ؟! إنَّ ٱلسَّيِّدَ ماكْفارْلين لَيْسَ غَبِيًّا ؛ فَمِنَ ٱلحُمْقِ ٱلشَّديدِ أنْ يَقْتُلَ إنسانًا في ٱليَوْمِ نَفْسِهِ ٱلَّذي كَتَبَ فيهِ هٰذا ٱلإنْسانُ وَصِيَّتَهُ لِصالِحِهِ . كَما أنَّهُ مِنَ ٱلحُمْقِ أنْ يَقْتُلَ ٱلسَّيِّدَ أُولْداكر مَعَ عِلْمِهِ أنَّ خادِمَتَهُ تَعْرِفُ مَنِ ٱلَّذي كانَ في ٱلمَنْزِلِ في هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ . ألا تَذْكُرُ ؟ ٱلسَّيِّدةُ ٱلعجوزُ هِيَ ٱلَّتي فَتَحتِ ٱلبابَ لِلسَّيِّدِ ماكْفارْلين ! وَشَيْءٌ آخَرُ : لِماذا يُحْرِقُ ٱلجُثَّةَ بِهٰذا ٱلأُسْلوبِ ٱلحَريصِ ٱلحَذِرِ ، وَمَعَ ذٰلِكَ يَتْرُكُ عَصاهُ في ٱلغُرْفَةِ في غَيْرِ حِرْصٍ وَلا حَذَرٍ ؟ »

قالَ لِيسْتْريد : « أَنْتَ تَعْلَمُ يا سَيِّدُ هُولمْز أنَّ ٱلمَرْءَ حينَما يَقْتُلُ إنْسانًا فَإنَّ تَفْكيرَهُ – في تِلْكَ ٱللَّحظاتِ – يَكونُ في ٱلغالِبِ مُشَوَّشًا ، وَمِنَ ٱلسَّهْلِ أنْ يَنْسى شَيْئًا مِثْلَ ٱلعَصا ، وَلَعَلَّهُ كانَ يَخافُ أنْ يَعودَ ثانِيَةً إلى ٱلغُرْفَةِ . وَمَعَ هٰذا ، هَلْ تَسْتَطيعُ أنْ تُقَدِّمَ لي سَبَبًا آخَرَ لِمَقْتَلِ ٱلسَّيِّدِ أُولْداكر ؟ »

قالَ هُولمْز : « أَسْتَطيعُ أنْ أُفكِّرَ في أَسْبابٍ كَثيرةٍ مُحْتَمَلةٍ : فَمَثَلًا لِنَفْرِضْ أنَّ شَخْصًا كانَ يَمُرُّ بِالمَنْزِلِ في هٰذا ٱلوَقْتِ وَرَأى ٱلرَّجُلَيْنِ في ٱلغُرْفَةِ وَمَعَهُما ٱلأَوْراقُ ، فَظَنَّ أنَّ في حَوْزَتِهِما مالًا ، وَعِنْدَما غادَرَ ٱلسَّيِّدُ ماكْفارْلين ٱلمَنْزِلَ ، فَمِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أنَّ هٰذا ٱلشَّخْصَ تَسَلَّلَ مِنْ خِلالِ ٱلنَّافِذَةِ ، وَقَتَلَ ٱلسَّيِّدَ أُولْداكر . »

سَأَلَهُ لِيسْتْريد : « إذا كانَ ٱلأَمْرُ كَذٰلِكَ ، فَلِماذا لَمْ يَسْرِقِ ٱلقاتِلُ أَيَّ شَيْءٍ ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « لِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ إلّا ٱلأَوْراقَ ؛ إذْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ أَيُّ نُقودٍ في ٱلغُرْفَةِ . »

مَعَ أنَّ لِيسْتْريد ، بَعْدَ هٰذا ، بَدا مُتَشَكِّكًا بَعْضَ ٱلشَّيْءِ في صِحَّةِ أفْكارِهِ ، فَإنَّهُ قالَ : « حَسَنًا ، تَسْتَطيعُ يا سَيِّدُ هُولمْز أنْ تَبْحَثَ عَنِ الجاني إذا أَرَدْتَ ، أَمّا أَنا فَأَعْتَقِدُ أنَّ ٱلسَّيِّدَ ماكْفارْلين هُوَ ٱلَّذي قَتَلَ ٱلسَّيِّدَ أُولْداكر . إنَّ لَدَيْهِ سَبَبًا قَوِيًّا لِقَتْلِهِ . ثُمَّ إنَّهُ ٱلشَّخْصُ ٱلوَحيدُ على ظَهْرِ ٱلبَسيطةِ ٱلذي لَمْ يَكُنْ بِحاجةٍ إلى سَرِقةِ أَيِّ شَيْءٍ ، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سَوْفَ يَكونُ مِلْكًا لَهُ – بِالوِراثةِ – عاجِلًا . »

قالَ هُولمْز : « أَنا لَمْ أَقُلْ إنَّكَ عَلى خَطَإٍ ، إنَّما أَرَدْتُ أنْ أُرِيَكَ أنَّ هُناكَ ظُروفًا أُخْرى مُحْتَمَلةً لِمَقْتَلِ ٱلسَّيِّدِ أُولْداكر . إلى ٱللِّقاءِ يا سَيِّدُ لِيسْتْريد ، وَأَتَوَقَّعُ أنْ أَحْضُرَ لِأَراكَ في نُورْوُود بَعْدَ ظُهْرِ ٱليَوْمِ . »

بَعْدَ ٱنْصِرافِ لِيسْتْريد أَخَذَ هُولمْز يَرْتَدي مِعْطَفَهُ وَهُوَ يَقولُ : « سَأَذْهَبُ إلى بْلاك هِيث . »

قُلْتُ لَهُ مُتَسائِلًا : « لِماذا لا تَذْهَبُ إلى نُورْوُود ؟ »

أَجابَ : « هُناكَ أَمْرانِ غَريبانِ قَدْ حَدَثا يا صَديقي ، وَلٰكِنَّ رِجالَ ٱلشُّرْطةِ لا يُفكِّرونَ إلّا في واحِدٍ مِنْهُما فَقَطْ ، أَمّا أَوَّلُهُما فَهُوَ هٰذِهِ ٱلوَصِيَّةُ ٱلغَريبةُ ، فَأَنا أُريدُ أنْ أَعْرِفَ لِماذا أَرادَ ٱلسَّيِّدُ أُولْداكر أنْ يُوصِيَ بِمالِهِ لِلسَّيِّدِ ماكْفارْلين ؟ »

سَأَلْتُهُ : «أَتُرِيدُنِي أَنْ أَذْهَبَ مَعَكَ ؟»

أَجابَ : «لا ، لَيْسَ ذٰلِكَ ضَرورِيًّا ؛ فَلَيْسَ هُناكَ خَطَرٌ ما .»

تَرَكَني هُولمز وَآنصَرَفَ ، وَأنا أَعْلَمُ أَنَّ لَهُ رَغْبَةً في مَدِّ يَدِ آلمَعونةِ لِلسَّيِّد ماكْفارْلين بِقَدْرِ ما يَسْتَطيعُ .

الفَصْـــلُ آلرَّابِـــعُ

كانَ آلوَقْتُ مُتَأَخِّرًا حِينَما عادَ صَديقي هُولمز مِنْ بْلاك هِيث . وَكانَ يَبْدو عَلى وَجْهِهِ أَنَّهُ غَيْرُ سَعيدٍ . وَقَدْ بادَرَني قائِلًا :

«واطْسُن ، يَبْدو أَنَّ آلقَضِيَّةَ لَيْسَتْ سَهْلَةً ، وَفي هٰذِهِ آلمَرَّةِ يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّ لِيسْترِيد قَدْ يَكونُ عَلى حَقٍّ . أنا لا أَزالُ أَعْتَقِدُ أَنَّ ماكْفارْلين لَمْ يَقْتُلْ أُولْداكر ، وَلٰكِنَّ آلحَقائِقَ تُؤَيِّدُ لِيسْترِيد فيما يَراهُ ، وَلا تُؤَيِّدُني فيما أَرى . يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّهُ رُبَّما يَكْسِبُ آلجَوْلَةَ هٰذِهِ آلمَرَّةَ .»

سَأَلْتُهُ : «هَلْ ذَهَبْتَ إِلى بْلاك هِيث ؟»

أَجابَ : «نَعَمْ ، وَسَرْعانَ ما آكْتَشَفْتُ أَنَّ أُولْداكر كانَ رَجُلًا سَيِّئًا غايَةَ آلسُّوءِ . وَلَقَدْ تَحَدَّثْتُ إِلى والِدَةِ آلسَّيِّد ماكْفارْلين آلَّتي كانَتْ في أَشَدِّ حالاتِ آلغَضَبِ وَآلخَوْفِ ، وَقَدْ أَخْبَرَتْني أَنَّ أُولْداكر كانَ يُريدُ أَنْ يَتَزَوَّجَها مُنْذُ سَنَواتٍ طَويلَةٍ ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَرْضَ أَنْ تَكونَ زَوْجَةً لَهُ بِسَبَبِ ما آكْتَشَفَتْهُ مِنْ أَنَّهُ كانَ بالِغَ آلقَسْوَةِ عَلى بَعْضِ حَيَواناتٍ يَقْتَنيها ، مِمَّا أَثارَ غَضَبَهُ عَلَيْها

حَتَّى إِنَّهُ بَعَثَ إِلَيْها – في يَوْمِ زِفافِها إِلى زَوْجِها آلحالِيِّ – بِنُسْخَةٍ مِنْ صورةٍ فُوتوغْرافِيَّةٍ لَها وَقَدْ مَزَّقَها قِطَعًا صَغيرةً ، كَما بَعَثَ إِلَيْها بِرِسالةٍ قالَ فيها إِنَّهُ يُكِنُّ لَها وَلِزَوْجِها آلجَديدِ بُغْضًا وَكَراهِيَةً .

«إذا آكْتَشَفَ رِجالُ آلشُّرْطة هٰذِهِ آلمَعْلوماتِ فَسَوْفَ يَعْتَقِدونَ أَنَّ لَدى آلسَّيِّد ماكْفارْلين آلآنَ سَبَبًا آخَرَ يَحْمِلُهُ عَلى قَتْلِ أُولْداكر . وَلَمْ أَكْتَشِفْ شَيْئًا آخَرَ في بْلاك هِيث ، وَلِذٰلِكَ آتَّجَهْتُ إِلى نُورْوُد .»

أَطْلَعَني هُولمز عَلى خَريطَةٍ رَسَمَها لِمَنْزِلِ أُولْداكر وَحَديقَتِهِ . كانَتِ آلحَديقَةُ واسِعَةً ، وَكانَ آلمَكانُ آلَّذي يَحْتَفِظُ فيه بِالأَخْشابِ يَبْعُدُ كَثيرًا عَنْ



أَقْرَبِ شارِعٍ . وَلَمْ يَكُنْ لِيسْترِيد هُناكَ حينما زارَ هُولمْز آلمَنْزِلَ . وَلٰكِنَّ شُرْطِيًّا آخَرَ كانَ هُناكَ وَأَطْلَعَهُ على كُلِّ شَيْءٍ .

إِسْتَمَرَّ هُولمْز في حَديثِهِ قائِلًا : « لَقَدْ وَجَدوا بَعْضَ قِطَعٍ مِنْ مَلابِسِ أُولْداكر في آلبُقْعةِ آلّتي شَبَّ فيها آلحَريقُ . وَكانَ مِنْ رَأْيِ أَحَدِ آلأَطِبّاءِ أَنَّهُ مِنَ آلمُحْتَمَلِ أَنْ يَكونَ رَجُلٌ أَوْ حَيوانٌ قَدِ آحتَرَقَ هُناكَ . وَقَدْ فَحَصْتُ كُلَّ شَيْءٍ بِعِنايَةٍ شَديدةٍ ، وَلٰكِنّي لَمْ أَجِدْ شَيْئًا جَديدًا . كانَ هُناكَ دَمٌ قَليلٌ في حُجْرةِ آلنَّوْمِ . وَكانَتْ هُناكَ آثارُ أَقْدامِ رَجُلَيْنِ فَقَطْ فَوْقَ آلأَرْضِ .

« لَقَدِ آكتَشَفْتُ أَنَّ أُولْداكر لَمْ يَكُنْ يُودِعُ في آلمَصْرِفِ مالًا كَثيرًا كَما زَعَمَ بَعْضُ آلنّاسِ ، وَلِهٰذا لا أَعْتَقِدُ أَنَّ قَتْلَهُ سَوْفَ يَجْعَلُ مِنْ ماكْفارْلين رَجُلًا ثَرِيًّا . »

« وَأَخيرًا تَحَدَّثْتُ إلى آلسَّيِّدةِ آلعَجوزِ خادِمةِ أُولْداكر ، وَأَظُنُّ أَنَّها تَعْلَمُ شَيْئًا ، لٰكِنَّها لَمْ تُطْلِعْني إلّا على آلقَليلِ . أَخْبَرَتْني أَنَّها أَدْخَلَتِ آلسَّيِّدَ ماكْفارْلين آلمَنزِلَ حوالَى آلسّاعةِ آلتّاسِعةِ وَآلنِّصْفِ ، وَتَظُنُّ أَنَّهُ تَرَكَ عَصاهُ في آلرَّدْهةِ . وَقَدْ ذَهَبَتْ بَعْدَ ذٰلِكَ لِتَنامَ ، وَلَمْ تَسْتَيْقِظْ إلّا على أَصْواتِ آلنّاسِ آلّذينَ هُرِعوا إلى آلمَنْزِلِ حينما شاهَدوا آلحَريقَ . »

« وَتَقولُ آلسَّيِّدةُ إِنَّها تَظُنُّ أَنَّ قِطَعَ آلقُماشِ آلّتي عَثَروا عَلَيْها مِنَ آلثِّيابِ عَيْنِها آلّتي يَرْتَديها آلسَّيِّدُ أُولْداكر في تِلْكَ آللَّيْلةِ . هٰذا كُلُّ ما أَخْبَرَتْني بِهِ ، وَلٰكِنّي واثِقٌ أَنها أَخْفَتْ عَنّي شَيْئًا ... لَدَيَّ إِحْساسٌ بِذٰلِكَ . »

أَخْبَرَني هُولمْز أَنَّ آلسَّيِّدَ أُولْداكر كانَ يُسَدِّدُ مَبالِغَ مالِيَّةً إلى شَخْصٍ يُدْعى آلسَّيِّدَ كُورْنيلْياس . وَكانَ هٰذا هُوَ آلسَّبَبَ في أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ إلّا آلقَليلُ آلمُودَعُ في آلمَصْرِفِ ، وَقالَ هُولمْز إِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ آلِاهْتِداءَ إلى شَخْصِيَّةِ كُورنيلْياس .

عِنْدَما آنتَهى هُولمْز مِنْ حَديثِهِ كانَتْ تَبْدو على وَجْهِهِ آلجِدِّيَّةُ آلشَّديدةُ ، ثُمَّ قالَ : « أَخْشى أَنْ يَتَمَكَّنَ آلسَّيِّدُ لِيسْترِيد مِنْ أَنْ يُقَدِّمَ لِلْمِشْنَقةِ آلسَّيِّدَ ماكْفارْلين . وَلَسْتُ أَدْري كَيْفَ أَسْتَطيعُ أَنْ أَحُولَ دُونَ ذٰلِكَ . »

بَعْدَ هٰذا ذَهَبْتُ إلى فِراشي لِأَنامَ ، وَلٰكِنّي أَعْتَقِدُ أَنَّ هُولمْز لَمْ يَذُقْ طَعْمَ آلنَّوْمِ طَوالَ هٰذِهِ آللَّيْلةِ .

الفَصْلُ آلخامِسُ

حينَما آستَيْقَظْتُ في صَباحِ آليَوْمِ آلتّالي ، كانَ شِرْلُوك هُولمْز يَقْرأُ صُحُفَ آلصَّباحِ ، وَكانَتْ هُناكَ رِسالةٌ على آلمِنْضَدةِ مِنْ نُورْوُد ، جاءَ فيها ما يَلي :

« تَعالَ إلى نُورْوُد على عَجَلٍ ، فَقَدِ آكتَشَفْتُ حَقيقةً جَديدة ، وَقَدْ تَأَكَّدَ لِيَ آلآنَ أَنَّ ماكْفارْلين هُوَ آلّذي قَتَلَ أُولْداكر .

لِيسْترِيد »

قُلْتُ مُعَقِّبًا : « يَبْدو أَنَّ آلأَمْرَ خَطيرٌ . »

قالَ هُولمْز : « آلواضِحُ أَنَّ لِيسْترِيد مُبْتهجٌ غايةَ آلاِبْتِهاجِ ، فَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ هزَمَني لِأَوَّلِ مَرَّةٍ. يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ إلى نُورْوُد ، وَ أَرْجو يا واطْسُن أَنْ تَأْتِيَ مَعي ، فَإِنِّي في حاجةٍ آليَوْمَ إلى صَديقٍ . »

عِنْدَما وَصَلْنا إلى مَنْزِلِ أُولْداكَر في نُورْوُد وَجَدْنا لِيسْتْرِيد في آنتِظارِنا وَ قَدْ بَدا عَلى وَجْهِهِ آلبِشْرُ وَ آلرِّضا عَنِ آلنَّفْسِ ، وَصاحَ حينَما رَآنا : « أَهْلًا يا سَيِّدُ هُولمْز ، هَلْ تَوَصَّلْتَ إلى آلجاني ؟ »

أَجابَهُ هُولمْز في هُدوءٍ : « لَمْ أَجِدْ شَيْئًا بَعْدُ . »

قالَ لِيسْترِيد : « أَمَّا أَنا فَوَجَدْتُ . »

قالَ هُولمْز : « مِنَ آلواضِحِ أَنَّكَ تَبْدو مُسْتَبْشِرًا راضِيًا عَنْ نَفْسِكَ . »

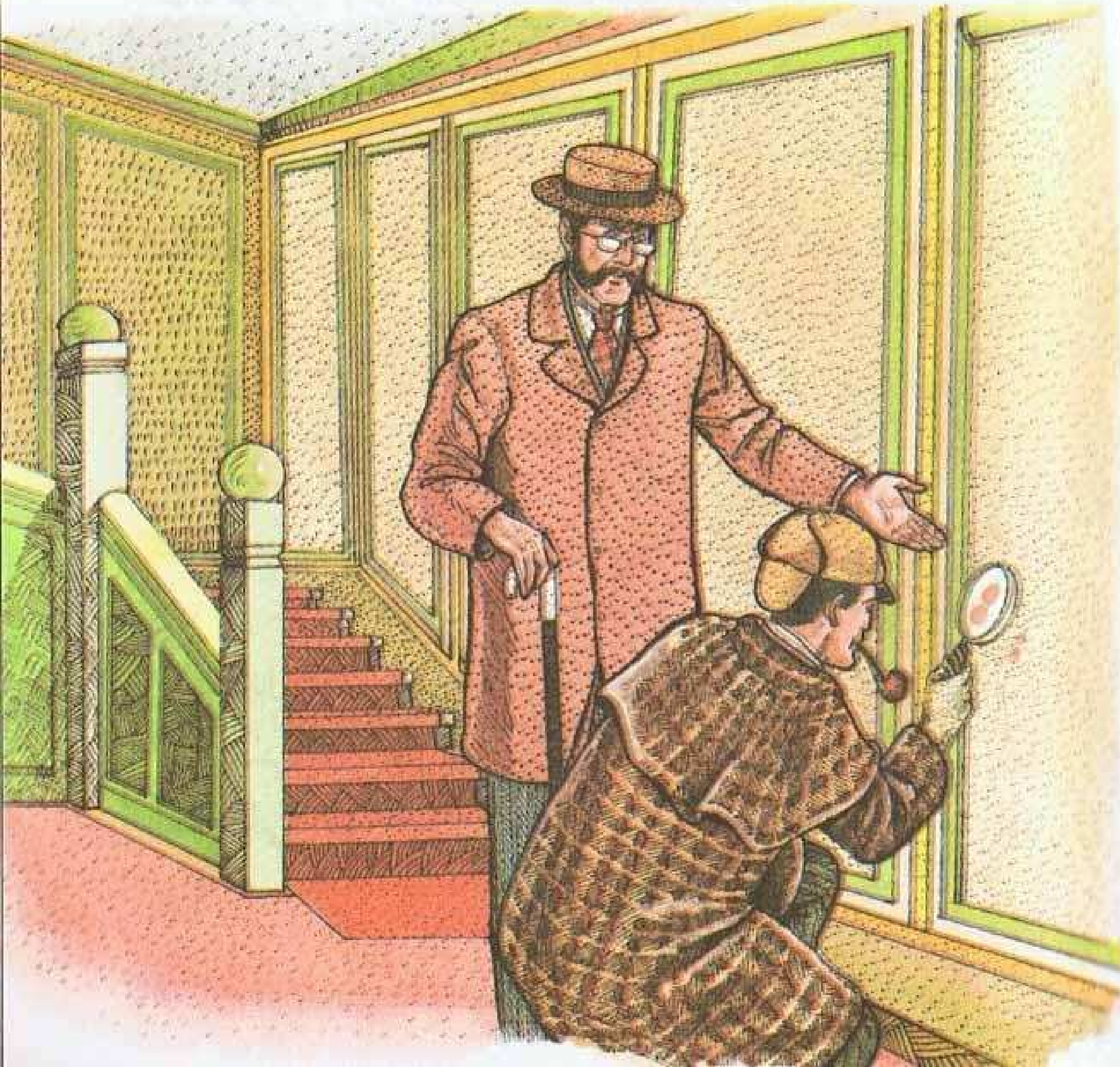
ضَحِكَ لِيسْترِيد بِصَوْتٍ عالٍ وَ قالَ لي : « إِنَّ شِرْلُوك هُولمْز – حَقيقةً – لا يُحِبُّ أَنْ يَهْزِمَهُ أَحَدٌ . أَلَيْسَ كَذٰلِكَ يا دُكْتور واطْسُن ؟ »

لَمْ أَرُدَّ عَلى مُلاحَظَتِهِ ، لٰكِنَّهُ آستَمَرَّ يَقولُ : « تَفَضَّلوا مَعي أَيُّها آلسّادَةُ . » وَ قادَنا إلى آلرَّدْهَةِ قائِلًا : « هٰذا هُوَ آلمَكانُ آلَّذي أَعْتَقِدُ أَنَّ ماكْفارْلين قَدِ آتَّجَهَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَ قُبَّعَتَهُ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ أُولْداكَر . وَ آلآنَ ، آنْظُروا هُنا . » وَ أَشارَ إلى عَلامةٍ عَلى آلجِدارِ . وَ كانَ واضِحًا أَنَّها أَثَرُ إِصْبَعٍ ، وَ لَها لَوْنُ آلدَّمِ ، ثُمَّ قالَ : « هٰذا أَثَرُ إِصْبَعِ جون هِكْتور ماكْفارْلين . » ثُمَّ أَبْرَزَ وَرَقةً صَغيرةً عَلَيْها عَلامةٌ تُضاهي تَمامًا تِلْكَ آلَّتي عَلى آلجِدارِ . وَ قالَ :

« إِنَّها بَصْمةُ آلسَّيِّدِ ماكْفارْلين ، أُخِذَتْ لِإِصْبَعِهِ في آلسِّجْنِ هٰذا آلصَّباحَ . » ثُمَّ عَقَّبَ قائِلًا في زَهْوٍ : « هٰذِهِ هِيَ نِهايةُ آلقَضِيَّةِ . »

قُلْتُ مُوافِقًا : « نَعَمْ ، إِنَّها لَكَذٰلِكَ . »

نَظَرْتُ إلى هُولمْز فَأَخَذَتْني آلدَّهْشةُ ، إِذْ كانَ يَبْدو سَعيدًا جِدًّا ، وَ قالَ : « نَعَمْ ، إِنَّها لَكَذٰلِكَ . »



اسْتَمَرَّ لِيسْتريد في حَديثِهِ بِأُسْلوبٍ يَفيضُ بِالزَّهْوِ مُعْتَقِدًا أَنَّ هولمْز قَدِ انْهَزَمَ . أَمَّا أنا فَكُنْتُ أَرى أَنَّ هولمْز في الحَقيقَةِ يَسْخَرُ مِنْهُ .

قالَ هولمْز : « حَسَنٌ جِدًّا ، يَجِبُ أَنْ يَكونَ هٰذا دَرْسًا لَنا جَميعًا ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ يا لِيسْتريد ؟ »

أَجابَ لِيسْتريد : « نَعَمْ ، يَجِبُ أَنْ يَكونَ كَذٰلِكَ . »

سَأَلَهُ هولمْز : « مَنِ الَّذي اكْتَشَفَ هٰذِهِ العَلامَةَ ؟ »

أَجابَ : « خادِمَةُ السَّيِّدِ أُولْداكَر ... السَّيِّدَةُ العَجوزُ . لَقَدْ وَجَدَتْها هٰذا الصَّباحَ . »

سَأَلَهُ هولمْز : « أَمُتَأَكِّدٌ أَنْتَ أَنَّ هٰذِهِ العَلامَةَ كانَتْ مَوْجودَةً في مَكانِها بِالأَمْسِ ؟ » ظَنَّ لِيسْتريد أَنَّ صاحِبي أَصابَهُ مَسٌّ مِنَ الجُنونِ ، أَمَّا أنا فَلا بُدَّ أَنْ أَعْتَرِفَ بِأَنّي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَفْهَمَ ماذا كانَ هولمْز يَعْني بِهٰذا السُّؤالِ .

أَجابَ لِيسْتريد : « يا سَيِّدُ هولمْز ، كَيْفَ تَتَوَقَّعُ أَنْ يَكونَ السَّيِّدُ ماكْفارْلين قَدِ اسْتَطاعَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ سِجْنِهِ وَيَأْتِيَ إلى هُنا لِيُحْدِثَ هٰذِهِ العَلامَةَ ؟ وَحَتّى لَوْ كانَ هٰذا مُمْكِنًا لَكانَ غَباءً مِنْهُ أَنْ يَفْعَلَ هٰذِهِ الفَعْلَةَ . »

حينَئِذٍ قالَ هولمْز : « حَسَنًا ، إِنَّهُ أَثَرُ إِصْبَعِهِ ، لا رَيْبَ في هٰذا . »

قالَ لِيسْتريد : « نَعَمْ ، لا رَيْبَ في هٰذا . وَالآنَ لا بُدَّ أَنْ أَذْهَبَ أَيُّها السّادَةُ . إِنَّني رَجُلٌ كَثيرُ المَشاغِلِ ، وَلا بُدَّ أَنْ أَكْتُبَ تَقْريري عَنْ هٰذِهِ القَضِيَّةِ . »

تَرَكَنا لِيسْتريد وَمَضى مُسْرِعًا إلى حُجْرَةِ الجُلوسِ لِيَكْتُبَ تَقْريرَهُ . وَبَعْدَ ما أَغْلَقَ البابَ سَأَلْتُ هولمْز : « لِماذا بَدَوْتَ مُبْتَهِجًا حينَما أَطْلَعَنا لِيسْتريد عَلى العَلامَةِ ؟ » فَأَجابَ بِبَساطَةٍ : « لِأَنّي أَعْلَمُ أَنَّها لَمْ تَكُنْ هُنا بِالأَمْسِ . لَقَدْ نَظَرْتُ إلى الجِدارِ بِعِنايَةٍ ، عَلى حينِ أَنَّ الشُّرْطَةَ لَمْ تَنْظُرْ إِلَيْهِ بِمِثْلِ ما فَعَلْتُ . وَهٰذا هُوَ السَّبَبُ في أَنَّهُم لَيْسوا رِجالَ مَباحِثَ مُمْتازينَ . وَالآنَ هَيّا يا واطْسُن نَتَمَشّى قَليلًا في الحَديقَةِ . »

سِرْتُ أَتْبَعُهُ في الحَديقَةِ وَأَنا أُفَكِّرُ في الأَمْرِ . وَالحَقُّ أَنّي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُعَلِّلَ كَيْفَ أَتَتْ هٰذِهِ العَلامَةُ .

لَمْ يَبْدُ عَلى هولمْز أَنَّهُ يُريدُ أَنْ يُخْبِرَني في الوَقْتِ الحاضِرِ ، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ في كُلِّ جُزْءٍ مِنَ الأَجْزاءِ الخارِجِيَّةِ لِلْمَنْزِلِ ، ثُمَّ عُدْنا إلى الدّاخِلِ مَرَّةً أُخْرى ، فَأَخَذْنا نَفْحَصُ كُلَّ حُجْرَةٍ مِنْ حُجُراتِهِ فَحْصًا دَقيقًا . بَلْ لَقَدْ فَحَصْنا كُلَّ صُوانٍ ، وَسِرْنا في كُلِّ مَمَرٍّ . وَبَيْنَما كُنّا نَجْتازُ آخِرَ مَمَرٍّ في أَعْلى المَنْزِلِ إذا بِهولمْز يَضْحَكُ فَجْأَةً ، وَيَقولُ : « إِنَّها لَقَضِيَّةٌ مُثيرَةٌ يا واطْسُن . إِنَّ لِيسْتريد يَظُنُّ أَنَّهُ هَزَمَني . وَكانَ يَتَهَكَّمُ وَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ عَنِ العَلامَةِ الَّتي فَوْقَ الجِدارِ ، وَلٰكِنّي أَعْتَقِدُ أَنَّني أَسْتَطيعُ الآنَ أَنْ أَتَهَكَّمَ بِدَوْري . ماذا سَأَفْعَلُ الآنَ ؟ أَجَلْ .. أَجَلْ .. »

نَزَلْنا إلى الحُجْرَةِ الَّتي كانَ لِيسْتريد يَشْتَغِلُ فيها ، وَسَأَلَهُ هولمْز : « أَتَكْتُبُ تَقْريرَكَ يا سَيِّدُ لِيسْتريد ؟ »

أَجابَ لِيسْتريد : « بِالطَّبْعِ . » وَبَدا صَوْتُهُ كَما لَوْ كانَ غاضِبًا مِنّا بِسَبَبِ



اقتحامِنا ٱلحجْرةَ وَ هُوَ مشْغولٌ بتَقْريرِهِ .

سَأَلَهُ هُولمْز : « أَلا تَظُنُّ أَنَّ إعدادَ ٱلتَّقْريرِ ٱلآنَ سابِقٌ لِأوانِهِ ؟ »

هُنا وَضَعَ لِيسْتْرِيد قَلَمَهُ وَ تَطَلَّعَ إلى هُولمْز ، إذْ كانَ يَعْرِفُهُ حَقَّ ٱلمَعْرِفةِ ، وَ أَدْرَكَ أَنَّ في جَعْبَتِهِ شَيْئًا ذا أَهَمِّيَّةٍ ، وَ سَوْفَ يُخْبِرُهُ بِهِ ، فَسَأَلَهُ : « ماذا تَعْني ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « حَسَنًا ، هُناكَ شَخْصٌ مُهِمٌّ في هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةِ لَمْ تَتَحَدَّثْ إلَيْهِ . »

قالَ لِيسْتْرِيد في صَوْتٍ مُفْعَمٍ بِالدَّهْشَةِ : « حَقًّا ؟ مَنْ هُوَ ؟ أَتَسْتَطيعُ أَنْ تَدُلَّني عَلى هٰذا ٱلشَّخْصِ ؟ »

قالَ هُولمْز : « نَعَمْ ... أَظُنُّ أَنَّني أَسْتَطيعُ ، وَلٰكِنِّي في حاجةٍ إلى بَعْضِ ٱلعَوْنِ . كَمْ مِنْ رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ هُنا ؟ »

قالَ لِيسْتْرِيد : « ثَلاثَةٌ . »

سَأَلَهُ هُولمْز : « أَهُمْ رِجالٌ أَشِدّاءُ ، ذَوُو أَصْواتٍ قَوِيَّةٍ مُرْتَفِعةٍ ؟ »

أَجابَ لِيسْتْرِيد : « نَعَمْ ، إنَّهُمْ كَذٰلِكَ ، وَلٰكِنِّي لا أَرى كَيْفَ تَكونُ أَصْواتُهُمْ ذاتَ عَوْنٍ لَنا . »

قالَ هُولمْز : « سَوْفَ تَرى عاجِلًا ؛ وَ ٱلآنَ أَرْجو أَنْ تَطْلُبَ مِنْ أَحَدِهِمْ أَنْ يُحْضِرَ إلَيْنا بَعْضَ ٱلصُّحُفِ ٱلقَديمةِ ، هُناكَ كَمِّيَّةٌ كَبيرةٌ مِنْها في ٱلرَّدْهةِ ؛ أَمّا ٱلشُّرْطِيّانِ ٱلآخَرانِ فَلْيُحْضِرا بَعْضَ دِلاءٍ مَمْلوءةٍ بِالماءِ . »

أَحْضَرَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ ما طُلِبَ مِنْهُمْ . وَصَعِدْنا جَميعًا إلى أَعْلى ٱلمَنْزِلِ ، وَكانَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ يَتَبَسَّمونَ ، أَمَّا لِيسْتْريد فَكانَ لا يَزالُ يَعْتَقِدُ أَنَّ هُولمْز يَتَصَرَّفُ تَصَرُّفَ ٱلمَجانينِ . أَمَّا أَنا فَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ ماذا يُريدُ صَديقي هُولمْز أَنْ يَفْعَلَ .

الفَصْلُ ٱلسَّادِسُ

مَشى شِرْلُوك هُولمْز إلى نِهايَةِ ٱلدِّهْليزِ كَما يَفْعَلُ ٱلمُمَثِّلونَ فَوْقَ ٱلمَسْرَحِ ، وَوَضَعَ ٱلصُّحُفَ عَلى ٱلأَرْضِ ثُمَّ قالَ لي : « واطْسُن ، أَرْجو أَنْ تَفْتَحَ ٱلنَّافِذَةَ ، ثُمَّ أَشْعِلِ ٱلنَّارَ في هٰذِهِ ٱلصُّحُفِ . »

قُمْتُ بِتَنْفيذِ ما طَلَبَ ، وَسَرْعانَ ما أَخَذَتِ ٱلصُّحُفُ في ٱلِاحْتِراقِ . وَقالَ هُولمْز : « وَٱلآنَ أُريدُ مِنْكُمْ جَميعًا أَنْ تَصيحوا مَعي بِأَعْلى صَوْتٍ : « حَريقٌ ! حَريقٌ ! » واحِدٌ ... ٱثنانِ ... ثَلاثَةٌ ... »

صِحْنا جَميعًا : « حَريقٌ ! » صَرَخَ هُولمْز مَرَّةً ثانِيَةً : « حَريقٌ ! » فَرَدَّدْنا بِصَوْتٍ عالٍ : « حَريقٌ ! »

فَجأَةً رَأَيْنا ٱلجِدارَ في نِهايَةِ ٱلدِّهْليزِ يَنْفَتِحُ كَما يَنْفَتِحُ ٱلبابُ تَمامًا . وإذا بِرَجُلٍ قَصيرِ القامَةِ قَبيحِ ٱلوَجْهِ يَخْرُجُ مِنْهُ وَهُوَ يَعْدو مِثْلَ أَرْنَبٍ مَذْعورٍ يَنْطَلِقُ مِنْ جُحْرِهِ .

قالَ هُولمْز : « حَسَنٌ جِدًّا . صُبَّ بَعْضَ ٱلماءِ عَلى ٱلنَّارِ يا واطْسُن . » ثُمَّ خاطَبَ لِيسْتْريد قائِلًا : « هٰذا هُوَ ٱلسَّيِّدُ جُوناس أُولْداكر . »

في ٱلبِدايَةِ لَمْ يَسْتَطِعْ لِيسْتْريد أَنْ يُصَدِّقَ ما رَآهُ ، ثُمَّ قالَ مُخاطِبًا أُولْداكر : « أَيْنَ كُنْتَ في ٱلْيَوْمَيْنِ ٱلسَّابِقَيْنِ ؟ »

ضَحِكَ أُولْداكر ، وَلٰكِنْ كانَ مِنَ ٱلواضِحِ أَنَّهُ خائِفٌ مِنْ لِيسْتْريد ، ثُمَّ قالَ : « إِنَّني لَمْ أُضِرَّ أَحَدًا . »

أَجابَ لِيسْتْريد غاضِبًا : « أَنْتَ لَمْ تَضُرَّ أَحَدًا ؟! إِنَّ ٱلسَّيِّدَ ماكْفارْلين في ٱلسِّجْنِ بِسَبَبِكَ . لَقَدْ ظَنَنَّا أَنَّهُ قَتَلَكَ ، وَكانَ عُرْضَةً لِلشَّنْقِ . »

قالَ أُولْداكر : « لَقَدْ فَعَلْتُ ما فَعَلْتُ عَلى سَبيلِ ٱلدُّعابَةِ فَحَسْبُ . »

قالَ لِيسْتْريد : « أَمَّا ٱلآنَ فَلا سَبيلَ لَكَ إلى مَزيدٍ مِنَ ٱلدُّعابَةِ . »

طَلَبَ لِيسْتْريد مِنْ رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ أَنْ يَأْخُذوهُ ، وَبَعْدَ أَنْ ذَهَبوا قالَ : « أَرى لِزامًا عَلَيَّ أَنْ أَشْكُرَكَ يا سَيِّدُ هُولمْز . لَقَدْ كُنْتُ غَيْرَ مُهَذَّبٍ مَعَكَ صَباحَ ٱلْيَوْمِ فَأَنا آسِفٌ ... ، كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلقَضِيَّةَ ٱنتَهَتْ ، وَلَوْ شُنِقَ ٱلسَّيِّدُ ماكْفارْلين بِسَبَبِ جَريمَةٍ لَمْ يَرْتَكِبْها لَكانَ ٱلأَمْرُ مُؤْسِفًا حَقًّا . »

قالَ هُولمْز بِرِفْقٍ : « لا تَقْلَقْ ، فَلَنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ ما حَدَثَ . إِنَّكَ تَسْتَطيعُ أَنْ تُغَيِّرَ تَقْريرَكَ . وَلَيْسَ مِنَ ٱلضَّرورِيِّ أَنْ تَذْكُرَ فيهِ أَنَّني قَدَّمْتُ أَيَّةَ مُعاوَنَةٍ . »

سَأَلَهُ لِيسْتْريد : « وَلٰكِنْ ، أَلا تُحِبُّ أَنْ تَعْرِفَ ٱلنَّاسُ كَمْ كُنْتَ حاذِقًا ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « كَلَّا ، لا رَغْبَةَ لي في ذٰلِكَ . إِنَّني سَعيدٌ بِما أَقومُ بِهِ مِنْ

عَمَلٍ ، وَهٰذا يَكْفيني . وَٱلآنَ دَعْنا نَرى أَيْنَ كانَ هٰذا ٱلفَأْرُ مُقيمًا :

« حُوِّلَتْ نِهايَةُ ٱلدِّهْليزِ إلى حُجْرَةٍ صَغيرَةٍ فيها قَليلٌ مِنَ ٱلأَثاثِ ، وَكانَ فَوْقَ ٱلمِنْضَدَةِ بَعْضُ ٱلطَّعامِ وَٱلماءِ ، وَكَذٰلِكَ بَعْضُ ٱلأَوْراقِ . فإذا أُغْلِقَ بابُها صارَ مِنَ ٱلمُسْتَحيلِ أَنْ تَرى أَنَّ هُناكَ حُجْرَةً ما .

« لَقَدْ كانَ أُولْداكر بَنّاءً ، وَمِنْ ثَمَّ ٱستَطاعَ أَنْ يُهَيِّئَ بِسُهولَةٍ هٰذا ٱلمَكانَ لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ في حاجَةٍ إلى ٱلاِسْتِعانَةِ بِأَحَدٍ في هٰذِهِ ٱلخُطَّةِ ، فيما عَدا خادِمَتَهُ . »

سَأَلَ لِيسْترِيد : « وَكَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّهُ كانَ هُنا ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « لَقَدْ فَكَّرْتُ في أَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَكونَ مُخْتَبِئًا في مَكانٍ بِالمَنْزِلِ ، وَلاحَظْتُ أَنَّ هٰذا ٱلدِّهْليزَ أَقْصَرُ مِنْ نَظيرِهِ في ٱلطّابَقِ ٱلَّذي تَحْتَهُ . وَمِنْ هُنا ٱتَّضَحَ لي أَيْنَ كانَ يَخْتَبِئُ . »

قالَ لِيسْترِيد : « لَقَدْ كانَ هٰذا عَمَلًا ذَكِيًّا ، وَلٰكِنْ ما ٱلَّذي جَعَلَكَ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ في ٱلمَنْزِلِ ؟ »

قالَ هُولمْز : « أَثَرُ ٱلإِصْبَعِ . لَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلعَلامَةَ لَمْ تَكُنْ عَلى ٱلجِدارِ بِالأَمْسِ لِأَنَّني سَبَقَ أَنْ فَحَصْتُهُ ، وَبِهٰذا أَدْرَكْتُ أَنَّها لا بُدَّ أَنْ تَكونَ قَدْ وُضِعَتْ ٱللَّيْلَةَ ٱلماضِيَةَ . »

قالَ لِيسْترِيد : « وَلٰكِنَّ ماكْفارْلين كانَ في ٱلسِّجْنِ ، فَكَيْفَ وُضِعَتْ ؟ »

قالَ هُولمْز : « أَعْتَقِدُ أَنَّكَ سَوْفَ تُلاحِظُ أَنَّ أُولْداكر وَماكْفارْلين ، عِنْدَما كانا يَشْتَغِلانِ في ٱلأَوْراقِ ، ٱستَخْدَما كَمِّيَّةً مِنَ ٱلشَّمْعِ ٱلأَحْمَرِ لِإِغْلاقِ ٱلظُّروفِ . وَأَظُنُّ أَنَّ أُولْداكر طَلَبَ مِنْ ماكْفارْلين أَنْ يَضَعَ إِصْبَعَهُ عَلى ٱلشَّمْعِ بِحُجَّةِ ٱلتَّأَكُّدِ مِنْ أَنَّ ٱلظَّرْفَ قَدْ أُحْكِمَ إِغْلاقُهُ ، مِمّا جَعَلَ بَصْمَةَ ماكْفارْلين واضِحَةً عَلى ٱلشَّمْعِ ، وَفيما بَعْدُ ، ٱستَخْدَمَ أُولْداكر مَزيدًا مِنَ ٱلشَّمْعِ لِكَيْ يَنْقُلَ بَصْمَةَ ماكْفارْلين إلى ٱلجِدارِ . وَمِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أَنَّهُ ٱستَخْدَمَ قَليلًا مِنَ ٱلدَّمِ مِنْ إِصْبَعِهِ هُوَ . »

قالَ لِيسْترِيد : « رائِعٌ ! رائِعٌ ! وَلٰكِنْ لِماذا فَعَلَ كُلَّ ذٰلِكَ يا سَيِّدُ هُولمْز ؟ »

وَشَعَرْتُ أَنَّني أُريدُ أَنْ أَضْحَكَ حينَما رَأَيْتُ ضابِطَ ٱلمَباحِثِ هٰذا – وَهُوَ ٱلَّذي كانَ مَزْهُوًّا فَخورًا بِنَفْسِهِ هٰذا ٱلصَّباحَ – يُوَجِّهُ أَسْئِلَةً كَما يَفْعَلُ طِفْلٌ يَتَحَدَّثُ إلى مُعَلِّمِهِ .

أَجابَهُ شِرْلُوك هُولمْز : « هٰذا أَمْرٌ لا يَبْدو صَعْبًا . إِنَّ أُولْداكر يَحْقِدُ عَلى أُمِّ ماكْفارْلين لِأَنَّها سَبَقَ أَنْ رَفَضَتِ ٱلزَّواجَ بِهِ . إِنَّكَ لَسْتَ عَلى عِلْمٍ بِهٰذا ٱلأَمْرِ يا لِيسْترِيد ، لِأَنَّكَ لَمْ تَقُمْ بِزِيارَةِ لِبْلاك هِيث قَطُّ . إِنَّ أُولْداكر رَجُلٌ خَبيثٌ وماكِرٌ ، وَلَقَدِ ٱنْتَظَرَ سَنَواتٍ طَويلَةً حَتّى تَسْنَحَ لَهُ ٱلفُرْصَةُ لِيُتْعِسَ ٱلسَّيِّدَةَ ماكْفارْلين . لَقَدْ خَطَّطَ لِكَيْ يَشْنُقَ ٱبْنَها وَيَحْصُلَ هُوَ – في نَفْسِ ٱلوَقْتِ – عَلى بَعْضِ ٱلمالِ . »

سَأَلَ لِيسْترِيد : « يَحْصُلُ عَلى بَعْضِ ٱلمالِ ! كَيْفَ ؟ »

قالَ هُولمْز « لَقَدْ كَشَفَتِ آلأَوْراقُ آلَّتي فَحَصْناها أَنَّ أُولْداكر يُواجِهُ أَزماتٍ مالِيَّةً ، وَأَظُنُّ أَنَّهُ أَرادَ أَنْ يَخْتَفِيَ تَهَرُّبًا مِنْ دائِنِيهِ . لَقَدْ سَدَّدَ قَدْرًا كَبيرًا مِنَ آلمالِ إلى ذٰلِكَ آلَّذي يُدْعى كُورْنيلْياس ، وَأَنا لا أَعْتَقِدُ أَنَّ هُناكَ شَخْصًا يَحْمِلُ هٰذا آلاِسْمَ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ أُولْداكر كانَ يَعْتَزِمُ أَنْ يُغَيِّرَ آسْمَهُ إلى كُورْنيلياس بَعْدَ أَنْ يَخْتَفِيَ .

« إِنَّ مَوضوعَ آلوَصِيَّةِ كانَ يُقْصَدُ بِهِ إيجادُ دافِعٍ يُبَرِّرُ آتِّهامَ آلسَّيِّدِ ماكْفارْلين بِقَتْلِهِ ، أَمَّا آلحَريقُ فَقَدْ قُصِدَ بِهِ أَنَّهُ لَيْسَتْ هُناكَ حاجَةٌ إلى آلعُثورِ عَلى جُثَّةِ آلقَتيلِ . وَكانَ يَفْتَرِضُ – بَعْدَ مُضِيِّ فَتْرَةٍ مِنَ آلزَّمَنِ – أَنَّ آلنَّاسَ سَوْفَ يَنْسَوْنَ جُوناس أُولْداكر . أَمَّا كُورْنيلْياس فَسَوْفَ يُقيمُ ، بِالطَّبْعِ ، في جُزْءٍ آخَرَ مِن إِنْجلْترا ، أَوْ بَلَدٍ آخَرَ . الواقِعُ أَنَّها خُطَّةٌ ذَكِيَّةٌ آبْتَكَرَها داهِيَةٌ خَبيثٌ . أَمَّا آلآنَ يا سَيِّدُ لِيسْتريد ، فَدَعْنا نَذْهَبْ لِنُوَجِّهَ إِلَيْهِ سُؤالًا أَوْ سُؤالَيْنِ . »

هَبَطْنا إلى آلحُجْرَةِ آلَّتي كانَ رِجالُ آلشُّرْطَةِ يَحْتَجِزونَ فيها جُوناس أُولْداكر . وَعِنْدَما رآنا رَدَّدَ ما قالَهُ مِنْ قَبْلُ : « إِنَّما فَعَلْتُ ما فَعَلْتُ عَلى سَبيلِ آلدُّعابَةِ فَحَسْبُ . إِنَّني لَمْ أُرِدِ آلإِضْرارَ بالسَّيِّدِ ماكْفارْلين . »

قالَ لِيسْتْريد : « أَوَ تَظُنُّ أن أَحَدًا يُمْكِنُ أَنْ يُصَدِّقَ هٰذا ؟ أَعْتَقِدُ أَنَّ آلسِّجْنَ مَصيرُكَ يا سَيِّدُ أُولْداكر . »

أَضافَ هُولمْز : « وَأَنا أَعْتَقِدُ أَنَّ آلشُّرْطَةَ سَوْفَ تَسْتَوْلي عَلى جَميعِ أَمْوالِ آلسَّيِّدِ كُورْنيلْياس أَيْضًا . »

تَطَلَّعَ أُولْداكر إلى هُولمْز وَقالَ في صَوْتٍ شَديدِ آلغَضَبِ : « سَوْفَ أَقْتُلُكَ يا شِيرْلُوك هُولمْز . »

اِبْتَسَمَ هُولمْز وَقالَ : « إِنَّكَ لَسْتَ أَوَّلَ رَجُلٍ يَقولُ لي ذٰلِكَ . وَلٰكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّكَ سَوْفَ تَكونُ مَشْغولًا جِدًّا في آلسِّجْنِ ، بِحَيْثُ لا تَسْتَطيعُ أَنْ تَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ في آلسَّنَواتِ آلقَليلَةِ آلقادِمَةِ . وَقَبْلَ أَنْ تَذْهَبَ ، لَدَيَّ سُؤالٌ أُريدُ أَنْ أُوَجِّهَهُ إِلَيْكَ :

« ما آلَّذي أَحْرَقْتَهُ مَعَ آلأَخْشابِ لِتَجْعَلَ طَبيبَ آلشُّرْطَةِ يَظُنُّ أَنَّ جِسْمًا آدَمِيًّا هُوَ آلَّذي أُحْرِقَ ؟ أَكانَ كَلْبًا مَيِّتًا ؟ أَمْ لَعَلَّها بَعْضُ آلأَرانِبِ ؟ »

لَمْ يُجِبْ أُولْداكر عَنِ آلسُّؤالِ ، وَإِنَّما جَلَسَ صامِتًا وَآلغَضَبُ يَبْدو عَلى وَجْهِهِ . أَمَّا هُولمْز فَقَدْ ضَحِكَ وَقالَ مُخاطِبًا واطْسُن :

« إِنَّهُ لا يَرْغَبُ في آلإِجابَةِ يا واطْسُن . عَلى كُلِّ حالٍ ، لَيْسَ آلأَمْرُ بِذي بالٍ . وَلٰكِنْ إذا أَرَدْتَ يَوْمًا أَنْ تَكْتُبَ قِصَّةَ بَنّاءِ نُورْوُود آلمُخْتَفي ، فَإِنَّكَ تَسْتَطيعُ أَنْ تَقولَ إِنَّها كانَتْ أَرانِبَ . »

سِرُّ التَّماثِيلِ السِّتَّةِ

الفَصْلُ ٱلأَوَّلُ

كانَ ٱلسَّيِّدُ لِيسْتْرِيد ، أَحَدُ رِجالِ سْكُوتْلانْديارْد – إِدارةُ المَباحِثِ في شُرْطَةِ لَنْدَن – كَثِيرًا ما يَزُورُ صَدِيقِي شِرْلُوك هُولمْز وَ أَنا مَعَهُ . وَ كانَتْ زِيارَتُهُ عادةً في ٱلمَساءِ . وَ كانَ هُولمْز يَسْتَمْتِعُ بِحَدِيثِهِ مَعَ لِيسْتْرِيد ؛ إِذْ كانَ هٰذا ٱلحَدِيثُ يُزَوِّدُهُ بِمَعْلوماتٍ مُفيدةٍ عَمَّا يَقَعُ مِنْ أَحْداثٍ في أَهَمِّ مَرْكَزٍ لِلمَباحِثِ في لَنْدَن .

كانَ لِيسْتْرِيد يُحِبُّ هٰذِهِ ٱلزِّياراتِ كَذٰلِكَ ؛ إِذْ كانَ يَجِدُ في هُولمْز رَجُلَ مَباحِثَ مُمْتازًا ، يُصْغِي بِٱهتِمامٍ إِلى لِيسْتْرِيد حِينَما تَكُونُ لَدَيْهِ قَضِيَّةٌ عَوِيصةٌ ، وَ كَثِيرًا ما تَمَكَّنَ هُولمْز مِنْ تَقْدِيمِ ٱلعَوْنِ لَهُ .

في إِحْدَى هٰذِهِ ٱلزِّياراتِ ٱلمَسائِيَّةِ ظَلَّ لِيسْتْرِيد يَتَحَدَّثُ فَتْرةً طَوِيلةً عَنِ ٱلطَّقْسِ ، وَ عَنْ مَسائِلَ أُخْرى لَيْسَتْ بِذاتِ أَهَمِّيَّةٍ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ عَنِ ٱلحَدِيثِ فَجْأَةً . وَ جَلَسَ صامِتًا وَ قَدِ ٱسْتَغْرَقَ في تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ . وَ لَقَدْ أَثارَ صَمْتُهُ **وَ تَفْكِيرُهُ ٱهتِمامَ هُولمْز ؛ فَسَأَلَهُ : « أَلَدَيْكَ ٱليَوْمَ قَضِيَّةٌ مُهِمَّةٌ أُعاوِنُكَ** فِيها ؟ »

أَجابَ رَجُلُ ٱلمَباحِثِ : « حَسَنًا يا سَيِّدُ هُولمْز ؛ هُناكَ مَسْأَلَةٌ ، وَلٰكِنْ يَبْدو أَنَّها لَيْسَتْ بِذاتِ أَهَمِّيَّةٍ ، وَلا أُرِيدُ أَنْ أُشْغِلَكَ بِها . إِنَّنِي أَعْلَمُ أَنَّكَ

شَغُوفٌ بِالمَسائِلِ ٱلصَّعْبةِ ، وَ لٰكِنَّنِي أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلمَسْأَلةَ تَهُمُّ الدُّكْتور واطْسُن أَكْثَرَ مِمَّا تَهُمُّكَ أَنْتَ . »

إِعْتَرَتْنِي ٱلدَّهْشةُ حِينَما قالَ لِيسْتْرِيد ذٰلِكَ . فَأَنا طَبِيبٌ وَ لَسْتُ رَجُلَ مَباحِثَ ، **وَلِذٰلِكَ سَأَلْتُ : « ما ٱلأَمْرُ ؟ أَهُناكَ مَرِيضٌ ؟ »**

كانَ جَوابُ لِيسْتْرِيد : « نَعَمْ ، أَظُنُّ ذٰلِكَ .. أَظُنُّ أَنَّ هُناكَ شَخْصًا مَرِيضًا جِدًّا ، **بَلْ أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذا ٱلشَّخْصَ لابُدَّ أَنْ يَكُونَ مَجْنونًا .** »

ثُمَّ مَضَى يَرْوِي لَنا قِصَّةَ شَخْصٍ دَأَبَ عَلى ٱلاسْتِيلاءِ على تَماثِيلَ نِصْفِيَّةٍ مِنَ ٱلجِصِّ لِنابُلْيُون بونابَرْت . يَسْتَوْلِي عَلَيْها ، ثُمَّ يُهَشِّمُها بَعْدَ ذٰلِكَ . وَ ٱسْتَمَرَّ لِيسْتْرِيد في حَدِيثِهِ فَقالَ :

« مُنْذُ أَرْبَعةِ أَيّامٍ ذَهَبَ هٰذا ٱلشَّخْصُ إِلى مَتْجَرٍ في شارِعِ كِينِنْغْتُون يَمْلِكُهُ مُورِس هَدْسون يَبِيعُ فِيهِ ٱلأَعْمالَ ٱلفَنِّيَّةَ كَالرُّسومِ وَ غَيْرِها . وَ ٱنْتَهَزَ هٰذا ٱلشَّخْصُ فُرْصَةَ ٱنشِغالِ صاحِبِ ٱلمَتْجَرِ وَ أَخَذَ تِمْثالًا نِصْفِيًّا لِنابُلْيُون وَ هَشَّمَهُ ، **ثُمَّ فَرَّ هارِبًا .. لابُدَّ أَنَّهُ يَبْغُضُ نابُلْيُون بُغْضًا شَدِيدًا .** »

تَساءَلَ هُولمْز : « تُرى ، ما سِرُّ ٱهتِمامِكَ ٱلشَّدِيدِ بِهٰذا ٱلمَوْضوعِ ؟ »

أَجابَ لِيسْتْرِيد : « لِأَنَّهُ كَرَّرَ فَعْلَتَهُ مَرَّةً أُخْرى . فَبِالأَمْسِ ٱقْتَحَمَ مَنْزِلَ أَحَدِ ٱلأَطِبَّاءِ – دُكْتور بارْنِيكوت – وَ هُوَ مِنَ ٱلَّذِينَ يُكِنُّونَ إِعْجابًا شَدِيدًا لِنابُلْيُون . وَ كانَ الطَّبِيبُ قَدِ ٱشْتَرَى تِمْثالَيْنِ نِصْفِيَّيْنِ مِنْ مَتْجَرِ مُورِس هَدْسون . فَٱحْتَفَظَ بِواحِدٍ مِنْهُما في مَنْزِلِهِ ، وَوَضَعَ ٱلآخَرَ في ٱلعِيادةِ ٱلَّتِي

يَعْمَلُ بها قَريبًا مِنْ وَسَطِ لَنْدَن . وَهٰكَذا سَطا ٱللِّصُّ على ٱلمَنْزِلِ وَٱسْتَوْلَى على ٱلتِّمْثالِ ، وَهَشَّمَهُ عَلى سُورِ ٱلحَديقةِ . وَقَدِ ٱكْتَشَفَ ٱلدُّكْتور بارْنيكوت تِمثالَهُ ٱلمُهَشَّمَ حينما ٱسْتَيْقَظَ في ٱلصَّباحِ ، فَلَمَّا ذَهَبَ إلى ٱلعِيادةِ حَوالَى ٱلسَّاعةِ ٱلثَّانيةَ عَشْرَةَ ظُهْرًا فُوجِئَ بِٱلتِّمْثالِ ٱلآخَرِ مُهَشَّمًا كَذٰلِكَ . »

قالَ هُولمْز : « إنَّهُ لَأَمْرٌ مُثيرٌ حَقًّا ! هَلْ هَشَّمَ ٱللِّصُّ أَيَّ شَيْءٍ آخَرَ ، أَوِ ٱسْتَوْلَى عَلى شَيْءٍ ؟ »

« لا ، لَمْ يَفْعَلْ . »

« وَهَلْ كانَتِ ٱلتَّماثيلُ ٱلثَّلاثةُ مُتَشابِهةً تَمامًا ؟ »

« أَجَلْ . »

قالَ هُولمْز : « رُبَّما كانَ ٱللِّصُّ مُهْتَمًّا بِهٰذِهِ ٱلتَّماثِيلِ ، وَلَيْسَ بِنابُلْيُون ذاتِهِ . »

قالَ لِيسْتْرِيد : « هٰذا مُحْتَمَلٌ ، وَلٰكِنْ أَعْتَقِدُ أَنَّ هُناكَ ٱلكَثيرَ مِنْ تَماثيلِ نابُلْيون في هٰذِهِ ٱلمِنْطَقةِ مِنْ لَنْدَن ، وَلِذٰلِكَ فَلَنْ نَسْتَطيعَ ٱلتَّأَكُّدَ مِنْ هٰذا ٱلأَمْرِ . »

ٱلتَفَتُّ إلى ٱلسَّيِّدِ لِيسْتْرِيد مُتَسائِلًا : « ما رَأْيُكَ أَنْتَ في كُلِّ ذٰلِكَ ؟ »

كانَ جَوابُهُ : « لَسْتُ أَدْرِي يا دُكْتور واطسن ! لَسْتُ أَدْرِي ! »

الفَصْلُ الثَّاني

في صَبيحةِ ٱليَوْمِ ٱلتَّالي كُنْتُ أَرْتَدي مَلابِسي حينما دَخَلَ هُولمْز غُرْفَتي وَقالَ : « لِيسْتْرِيد يُريدُ أَنْ يَرانا حالًا . إنَّهُ يَنْتَظِرُنا في مَنْزِلٍ بِشارِعِ كِينْسِنْغتون . »

اِرْتَدَيْتُ مَلابِسي عَلى عَجَلٍ ، وَتَناوَلْنا بَعْضَ ٱلقَهْوةِ ، وَسارَعْنا إلى كِينْسِنْغتون .

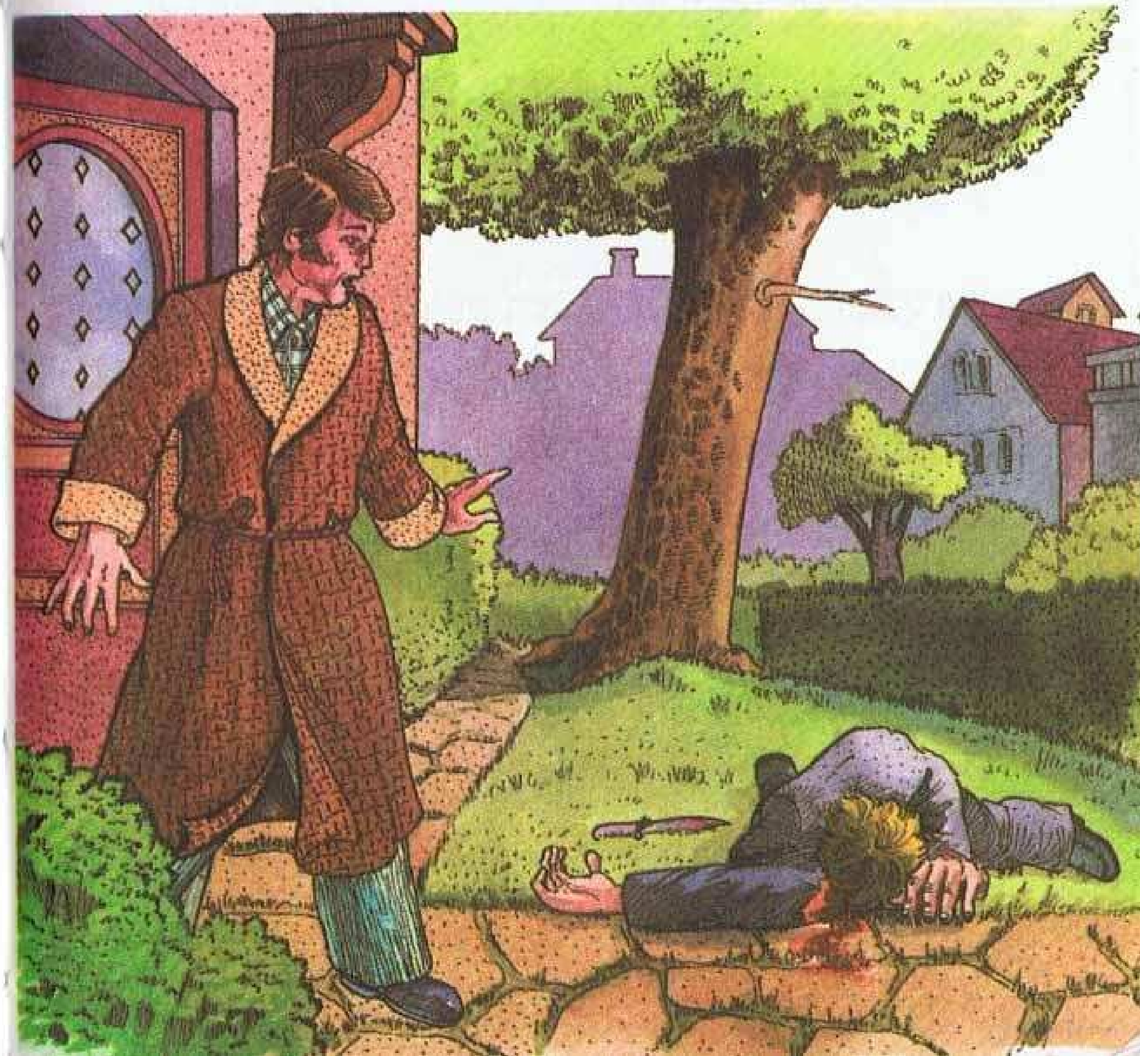
كانَ ٱلمَنْزِلُ يَقَعُ في شارِعٍ هادِئٍ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَبْعُدُ كَثيرًا عَنْ وَسَطِ مَدينةِ لَنْدَن ٱلمُزْدَحِمِ . وَفي ذٰلِكَ ٱلصَّباحِ كانَ هُناكَ جَمْعٌ كَبيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ يَقِفونَ بِالخارِجِ . وَقالَ هُولمْز : « يَبْدو كَما لَوْ أَنَّ أَمْرًا سَيِّئًا قَدْ حَدَثَ هُنا . »

كانَ لِيسْتْرِيد في ٱنْتِظارِنا . وَكانَتْ تَبْدُو عَلَيْهِ مَظاهِرُ ٱلجِدِّيَّةِ البالِغةِ ، وَٱسْتَرْعى نَظَري أَنَّ دِماءً كَثيرةً تُلَطِّخُ ٱلأَرْضَ عَلى مَقْرُبَةٍ مِنَ ٱلبابِ ٱلأَماميِّ لِلْمَنْزِلِ . وَدَعانا لِيسْتْرِيد إلى ٱلدُّخولِ حَيْثُ ٱلتَقَيْنا ٱلرَّجُلَ ٱلَّذي يَسْكُنُهُ وَٱسْمُهُ هُوارِس هارْكَر ، وَهُوَ يَعْمَلُ بِالصَّحافةِ ؛ لٰكِنَّهُ في هٰذا ٱليَوْمِ بَدا بالِغَ ٱلاِضْطِرابِ حَتَّى إنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَكْتُبَ لِصَحيفَتِهِ عَمَّا حَدَثَ .

وَجَّهَ لِيسْتْرِيد إلَيْهِ ٱلخِطابَ قائلًا : « أَرْجو أَنْ تُخْبِرَنا بِكُلِّ ما تَعْرِفُ يا سَيِّدُ هارْكَر . »

شَرَعَ ٱلسَّيِّدُ هارْكَر يَتَحَدَّثُ بِصَوْتٍ يَشوبُهُ ٱلفَزَعُ فَقالَ : « مُنْذُ أَرْبَعةِ

أَشْهُرٍ ٱشْتَرَيْتُ تِمثالًا نِصْفيًّا لِنابُلْيون مِنْ مَتْجَرِ ٱلإِخوةِ هارْدِنغ في هاي ستريت . وَ لَيْلَةَ أَمْسِ أَفَقْتُ مِنْ نَوْمي عَلى صَيْحَةٍ مُدَوِّيَةٍ شَقَّتْ سُكونَ ٱللَّيْلِ حَوالى ٱلسَّاعةِ ٱلثَّالِثَةِ صَباحًا . وَ مَعَ أَنَّني كُنْتُ خائفًا ، فَقَدْ نَزَلْتُ لِأَرى هَلْ هُناكَ أَحَدٌ . وَ لَمْ أَجِدْ أَحَدًا في ٱلغُرْفَةِ ، وَ لٰكِنَّني ٱكْتَشَفْتُ أَنَّ تِمْثالَ نابُلْيون قَدِ ٱختَفى ، وَ سارَعْتُ لِأَسْتَدْعِيَ شُرْطيًّا . وَ ما كِدْتُ أَفْتَحُ ٱلبابَ حَتَّى وَجَدْتُ جُثَّةَ رَجُلٍ مَيْتٍ ، وَ كانَتْ مُلَطَّخةً بِالدِّماءِ حَتَّى لَقَدْ أَحْسَسْتُ بِالغَثَيانِ لِمَرْآها . »



سَأَلَهُ هُولمْز : « مَنْ هُوَ ٱلرَّجُلُ ٱلمَيْتُ ؟ »

أَجابَ لِيسْتريد : « لا نَعْرِفُ . كُلُّ ما كانَ بِحَوْزَتِهِ خَريطَةٌ رَخيصَةٌ لِمَدينةِ لَنْدَن ، وَ صورةٌ فوتوغْرافِيَّةٌ لِرَجُلٍ قَبيحِ ٱلوَجْهِ ... غايَةِ ٱلقُبْحِ ، وَ كانَ بِجِوارِهِ سِكِّينٌ صَغيرٌ ، لٰكِنِّي لا أَعْرِفُ هَلِ ٱسْتُخْدِمَ هٰذا ٱلسِّكِّينُ في قَتْلِهِ أَمْ لا ؟ »

سَأَلَ هُولمْز : « وَ ماذا عَنْ تِمْثالِ نابُلْيون ؟ »

أَجابَ لِيسْتريد : « وَجَدْناهُ عَلى مَقْرَبَةٍ مِنْ هُنا في حَديقةِ مَنْزِلٍ مَهْجورٍ ، وَ كانَ مُهَشَّمًا ... تَمامًا كَما حَدَثَ لِلتَّماثيلِ ٱلأُخْرى . »

اِتَّجَهْنا ثَلاثَتُنا – أَنا وَ هُولمْز وَ لِيسْتريد – لِكَيْ نُلْقِيَ نَظْرَةً عَلى ٱلتِّمْثالِ ٱلمُهَشَّمِ . أَمَّا ٱلسَّيِّدُ هارْكَر فَقَدْ بَقِيَ في ٱلمَنْزِلِ لِكَيْ يَكْتُبَ شَيْئًا عَنِ ٱلحادِثِ لِصَحيفَتِهِ ؛ إِذْ إِنَّ حالَتَهُ قَدْ تَحَسَّنَتِ ٱلآنَ بَعْضَ ٱلشَّيْءِ ، وَ لَسَوْفَ تَكونُ ٱلقِصَّةُ ٱلَّتي يَكْتُبُها مُثيرةً لا شَكَّ .

الفَصْلُ ٱلثَّالِثُ

وَصَلْنا إِلى ٱلمَنْزِلِ ٱلمَهْجورِ سَريعًا ، وَ كانَتْ قِطَعُ ٱلتِّمْثالِ مُتَناثِرَةً عَلى ٱلعُشْبِ بِجِوارِ جِدارِ ٱلحَديقةِ . وَ ٱلتَقَطَ هُولمْز بَعْضَ ٱلقِطَعِ وَ أَخَذَ يَفْحَصُها بِعِنايَةٍ .

قالَ لِيسْتريد مُتَسائلًا : « ما رَأْيُكَ ؟ »

نَظَرَ إلَيْهِ هُولمْز قائلًا : « هُناكَ ٱلكَثيرُ عَلَيْنا أَنْ نَقومَ بِهِ ، لٰكِنْ أَمامَنا ٱلآنَ بَعْضُ أَسْئِلَةٍ هامَّةٍ لابُدَّ أَنْ نُفَكِّرَ في إجاباتٍ لَها . فَمَثَلًا : كَيْفَ يُغامِرُ رَجُلٌ بِقَتْلِ آخَرَ في سَبيلِ ٱلحُصولِ على تِمثالٍ رَخيصٍ كَهٰذا ٱلتِّمْثالِ ؟ وَ أَمْرٌ آخَرُ : إذا كانَ هَدَفُهُ تَحْطيمَ ٱلتِّمْثالِ فَحَسْبُ ، فَلِماذا لَمْ يُحَطِّمْهُ داخِلَ مَنْزِلِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر ؟ لِماذا يَأْخُذُهُ بَعيدًا ؟ »

عَقَّبَ لِيسْتْرِيد قائلًا : « لَعَلَّهُ حَمَلَهُ بَعيدًا لِأَنَّهُ كانَ يَخْشى أَنْ يُفاجِئَهُ ٱلسَّيِّدُ هارْكَر . »

قالَ هُولمْز : « رُبَّما يَكونُ هٰذا هُوَ ٱلسَّبَبَ ، وَ لٰكِنْ لِماذا أَتى بِهِ إلى هٰذا ٱلمَنْزِلِ بِالذَّاتِ وَ لَيْسَ إلى أَيِّ مَنْزِلٍ آخَرَ ؟ »

رَدَّ لِيسْتْرِيد : « لِأَنَّ هٰذا ٱلمَنْزِلَ مَهْجورٌ . »

قالَ هُولمْز : « لٰكِنَّ هُناكَ مَنْزِلًا آخَرَ مَهْجورًا في ٱلشَّارِعِ نَفْسِهِ ، وَ هُوَ أَقْرَبُ إلى مَنْزِلِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر ، فَلِماذا لَمْ يُحَطِّمْهُ هُناكَ ؟ »

أَجابَ لِيسْتْرِيد : « حَقًّا ، لَسْتُ أَدْري . »

أَشارَ هُولمْز إلى أَنْوارِ ٱلشَّارِعِ ٱلَّتي فَوْقَ رُؤوسِنا وَ قالَ : « السَّبَبُ هُوَ أَنَّهُ كانَ يَسْتَطيعُ هُنا أَنْ يَرى ما هُوَ فاعِلٌ ، أَمَّا حَديقَةُ ٱلمَنْزِلِ ٱلآخَرِ فَمُظْلِمَةٌ . »

صاحَ رَجُلُ ٱلمَباحِثِ : « يا لَلسَّماءِ ! هٰذا صَحيحٌ ! ثُمَّ تَساءَلَ : « وَ لٰكِنْ كَيْفَ يُساعِدُنا ذٰلِكَ في ٱلقَضِيَّةِ يا سَيِّدُ هُولمْز ؟ »

أَجابَ صَديقي هُولمْز : « حَتَّى ٱلآنَ لا أَدْري ، وَلٰكِنَّني سَوْفَ أَظَلُّ أَذْكُرُ ٱلمَوْضوعَ . تُرى ماذا سَتَفْعَلُ بَعْدَ هٰذا يا سَيِّدُ لِيسْتْرِيد ؟ »

قالَ لِيسْتْرِيد : « أُريدُ أَنْ أَهْتَدِيَ أَوَّلًا إلى شَخْصِيَّةِ ٱلقَتيلِ . وَ مِنْ ثَمَّ أَسْتَطيعُ أَنْ أَعْرِفَ سَبَبَ وُجودِهِ في كِينْسِنْغْتون في ٱللَّيْلَةِ ٱلماضِيَةِ ، وَ مَنِ ٱلَّذي ٱلتَقى بِهِ وَ قَتَلَهُ خارِجَ مَنْزِلِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر . أَلَسْتَ تَرى أَنَّ هٰذِهِ فِكْرَةٌ سَديدَةٌ ؟ »

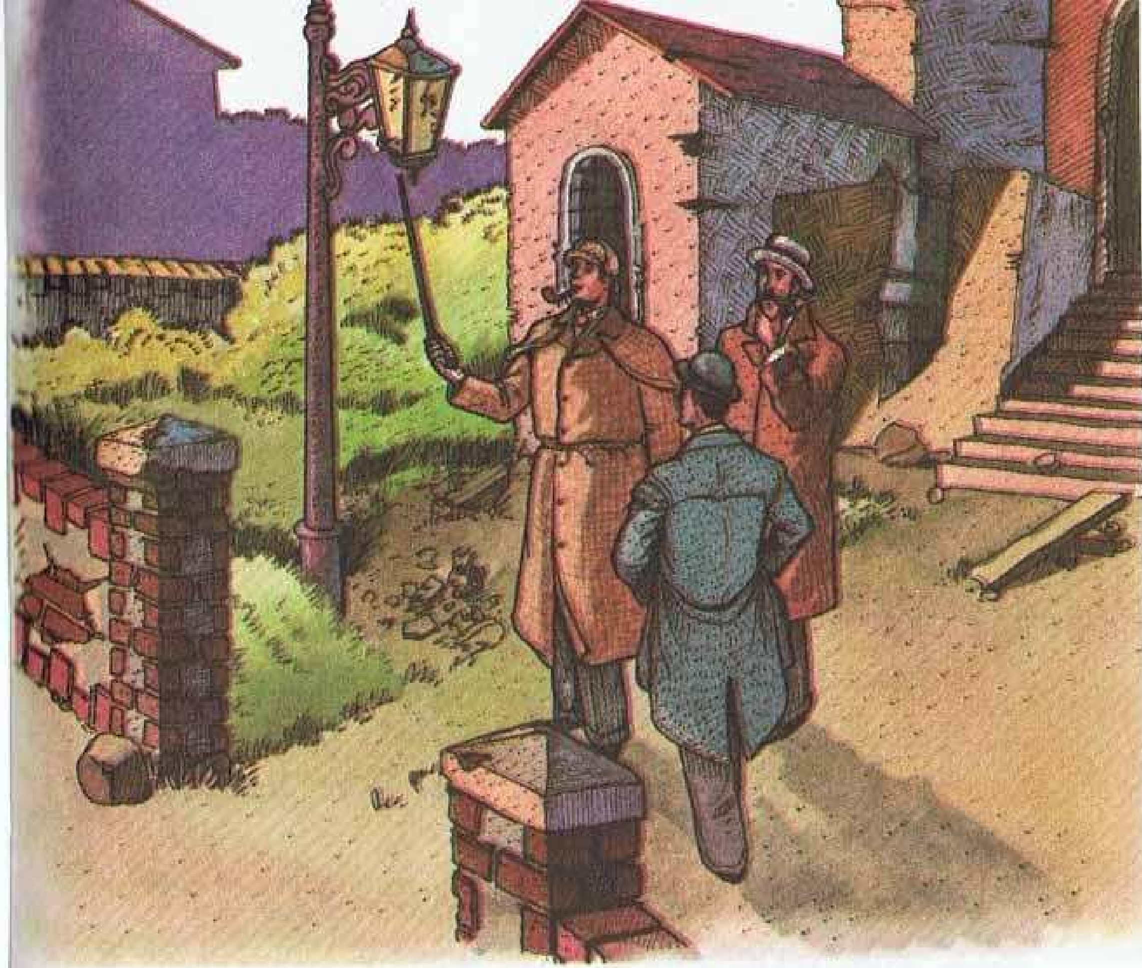
أَجابَ هولمْز : « سَوْفَ أَتَصَرَّفُ عَلى طَريقَتي ، وَ تَسْتَطيعُ أَنْتَ أَنْ تَتَصَرَّفَ عَلى طَريقَتِكَ ، ثُمَّ نَلْتَقي لِنَتَحَدَّثَ عَنِ ٱلقَضِيَّةِ فيما بَعْدُ . »

قالَ لِيسْتْرِيد : « هُوَ كَذٰلِكَ . »

ثُمَّ تَوَجَّهَ شِيرْلُوك هُولمْز إلى لِيسْتْرِيد بِعِبارَةٍ غَريبَةٍ ؛ إذْ قالَ لَهُ : « إذا رَأَيْتَ ٱلسَّيِّدَ هارْكَر فَأَرْجو أَنْ تُبْلِغَهُ أَنَّ مَجْنونًا خَطِرًا يَبْغُضُ نابُلْيون كانَ في مَسْكَنِهِ في ٱللَّيْلَةِ ٱلماضِيَةِ . »

أَخَذَتْ لِيسْتْرِيد ٱلدَّهْشَةُ فَقالَ : « أَوَ تَعْتَقِدُ حَقًّا أَنَّ ٱلأَمْرَ كَذٰلِكَ ؟ »

ضَحِكَ هُولمْز وَ قالَ : « لا ! لا ! وَ لٰكِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّ قُرَّاءَ صَحيفَةِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر سَوْفَ يَقْرَأُونَ أَخْبارًا مُثيرَةً . وَ ٱلآنَ لابُدَّ أَنْ نَذْهَبَ ، وَ لٰكِنْ أَرْجو أَنْ تَزورَنا في مَسْكَنِنا في شارِعِ بيكر في ٱلسَّاعَةِ ٱلسَّادِسَةِ مَساءَ ٱليَوْمِ . وَ لَعَلَّكَ تَأْذَنُ لي يا سَيِّدُ لِيسْتْرِيد أَنْ أَحْتَفِظَ بِالصُّورَةِ ٱلفُوتُوغْرافِيَّةِ ٱلَّتي وُجِدَتْ مَعَ



ٱلقَتيلِ إلى أَنْ نَلْتقيَ . وَ حينما تَأْتي إلى شارِعِ بيكر أَرْجو أَنْ تَكونَ مُسْتَعِدًّا لِلذَّهابِ مَعي إلى مَكانٍ ما . وَ إلى أَنْ نَلْتَقيَ .. أَسْتَوْدِعُكَ ٱللّٰهَ ، وَ أَرْجو لَكَ ٱلتَّوْفيقَ . »

الفَصْلُ ٱلرّابِعُ

سِرْتُ مَعَ شِرْلوك هُولمْز إلى هاي سْتريت وَ تَوَقَّفْنا عِنْدَ مَتْجَرِ ٱلإِخْوَةِ

هارْدِنغ . وَ كانَ عَدَمُ وُجودِ السَّيِّدِ هارْدِنغ مَبْعَثَ ضيقٍ لِهُولمْز ، وَ لِذٰلِكَ قَرَّرَ أَنْ يَزورَ ، بَدَلًا مِنْهُ ، مَتْجَرَ مُورْس هَدْسون ٱلَّذي ٱشْتَرى مِنْهُ الدُّكْتور بارْنيكُوت تِمْثالَيْهِ .

كانَ مورْس هَدْسون غاضِبًا أَشَدَّ ٱلغَضَبِ بِسَبَبِ تَحْطيمِ التِّمْثالَيْنِ ، وَ مَعَ ذٰلِكَ أَجابَ عَنْ كُلِّ ما وَجَّهَهُ إِلَيْهِ هُولمْز مِنْ أَسْئِلَةٍ . فَقَدْ دَلَّنا عَلى ٱلمَكانِ ٱلَّذي تُصْنَعُ فيهِ ٱلتَّماثيلُ ٱلنِّصْفيَّةُ ، وَ كانَ قَدِ ٱشْتَرى بَعْضَها مِنْهُ ، وَ ٱسْمُهُ غيلْدَر وَ شُركاهُ ، وَ يَقَعُ في حَيٍّ آخَرَ مِنْ أَحْياءِ لَنْدَن . ثُمَّ قالَ إِنَّهُ لَنْ يَسْتَطيعَ أَنْ يُساعِدَنا كَثيرًا فيما نَقومُ بِهِ مِنْ تَحرِّياتٍ ، وَ لٰكِنْ حينَما أَطْلَعَهُ هُولمْز عَلى ٱلصُّورَةِ ٱلفُوتُوغْرافيَّةِ صاحَ : « هٰذا بِپُّو . »

سَأَلَهُ هُولمْز : « مَنْ هُوَ بِپُّو ؟ »

أَجابَ : « هُوَ إيطاليٌّ كانَ يَعْمَلُ في مَتْجَري ، وَ لٰكِنَّهُ تَرَكَ ٱلعَمَلَ في ٱلأُسْبوعِ ٱلماضي ، وَ لَسْتُ أَعْرِفُ أَيْنَ ذَهَبَ بَعْدَ ذٰلِكَ . » ثُمَّ أَضافَ قائِلًا : « لَقَدْ تَرَكَ ٱلعَمَلَ قَبْلَ حادِثِ تَحْطيمِ ٱلتِّمْثالَيْنِ بِيَوْمَيْنِ فَرُبَّما يَكونُ هُوَ ٱلَّذي قامَ بِتَحْطيمِها . »

غادَرْنا مَتْجَرَ مُورْس هَدْسون بَعْدَ أَنْ شَكَرْناهُ . وَ كانَ هُولمْز سَعيدًا كُلَّ ٱلسَّعادَةِ بِالمَعْلوماتِ ٱلَّتي زَوَّدَنا بِها صاحِبُ ٱلمَتْجَرِ ، وَ قَرَّرَ أَنْ تَكونَ ٱلخُطْوَةُ ٱلتّالِيَةُ زِيارَةَ غيلْدَر وَ شُرَكاهُ ، وَ هُوَ ٱلمَصْنَعُ ٱلَّذي تُصْنَعُ فيهِ ٱلتَّماثيلُ .

اِجْتَزْنا خِلالَ رِحْلَتِنا مَناطِقَ كَثيرةً مِنْ لَنْدَن ، مِنْها ما يَبْدو عَلَيْهِ ٱلغِنى وَٱلثَّراءُ ، وَمِنْها ما يَبْدو عَلَيْهِ ٱلفَقْرُ وَٱلبُؤْس ، حَتَّى وَصَلْنا أَخيرًا إلى سْتِيبْنِي . وَهيَ مِنْطَقَةٌ كانَتْ في وَقْتٍ ما مِنَ ٱلمَناطِقِ ٱلغَنِيَّةِ ، أَمَّا ٱليَوْمَ فَإِنَّ ٱلَّذينَ يَسْكُنونَها مِنْ طَبَقَةِ ٱلعُمَّالِ ٱلفُقَراءِ ، وَكَثيرٌ مِنْهُم وافِدونَ إلَيْها مِنْ بِلادٍ أُخرى .

سُرْعانَ ما ٱهتَدَيْنا إلى مَتْجَرِ غِيلْدَر وَشُرَكاهُ ، وَكانَ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذي ٱستَقْبَلَنا وَتَحَدَّثَ إلَيْنا أَلمانِيًّا . وَقَدْ أَخْبَرَنا أَنَّهُمْ صَنَعوا مِئاتٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلتَّماثيلِ فيما مَضى ، أَمَّا في هٰذا ٱلعامِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُنْتِجوا إلَّا سِتَّةً فَقَطْ ، ثَلاثَةٌ مِنْها بيعَتْ لِمُورْس هَدْسون ، وَثَلاثَةٌ لِإِخْوانِ هارْدِنغ . كَما أَخْبَرَنا أَنَّ تَكْلِفَةَ صُنْعِها زَهيدَةٌ ، وَأَنَّ مُعْظَمَ ٱلعُمَّالِ ٱلَّذينَ يَقومونَ بِصُنْعِها مِنَ ٱلإيطالِيِّينَ . وَحينَما أَطْلَعَهُ هُولمْز عَلى صورَةِ ٱلإيطالِيِّ ٱلقَبيحِ غَضِبَ وَصاحَ : « هٰذا ٱلرَّجُلُ سَيِّئٌ جِدًّا ، اسمُهُ بِيُّو وَكانَ يَعْمَلُ هُنا مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ عامٍ . »

سَأَلَهُ هُولمْز : « لِماذا تَرَكَ ٱلعَمَلَ عِنْدَكُمْ ؟ »

أَجابَ ٱلأَلْمانِيُّ : « لَقَدِ ٱعتَدى عَلى إيطالِيٍّ آخَرَ وَحاوَلَ أَنْ يَقْتُلَهُ بِسِكّينٍ في ٱلشّارِعِ . وَقَدْ تَعَقَّبَهُ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ إلى هُنا وَٱعتَقَلوهُ ، وَحُكِمَ عَلَيْهِ بِالسَّجْنِ سَنَةً واحِدَةً لِأَنَّ ٱلإيطالِيَّ ٱلمُعْتَدى عَلَيْهِ لَمْ يَمُتْ . » وَٱستَطْرَدَ يَقولُ : « إنَّ أَحَدَ أَصْدِقائِهِ يَعْمَلُ مَعَنا ٱلآنَ ، فَهَلْ تُحِبُّ أَنْ تَتَحَدَّثَ إلَيْهِ ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « لا ! لا ! أَرْجو أَلَّا تُخْبِرَهُ بِأَيِّ شَيْءٍ .. أَرْجوكَ فَإِنَّ لِلأَمْرِ أَهَمِّيَّةً كَبيرَةً . »

قالَ ٱلرَّجُلُ : « كَما تَشاءُ يا سَيِّدُ هُولمْز . »

قالَ هُولمْز : « لَدَيَّ سُؤالٌ آخَرُ : لَقَدْ لاحَظْتُ في سِجِلَّاتِكَ أَنَّ ٱلتَّماثيلَ قَدْ بيعَتْ في ٱليَوْمِ ٱلثّالِثِ مِنْ شَهْرِ يُونْيَه (حَزيرانَ) في ٱلعامِ ٱلماضي ، فَهَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تُخْبِرَني مَتى ٱعتَقَلَتِ ٱلشُّرْطَةُ بِيُو ؟ »

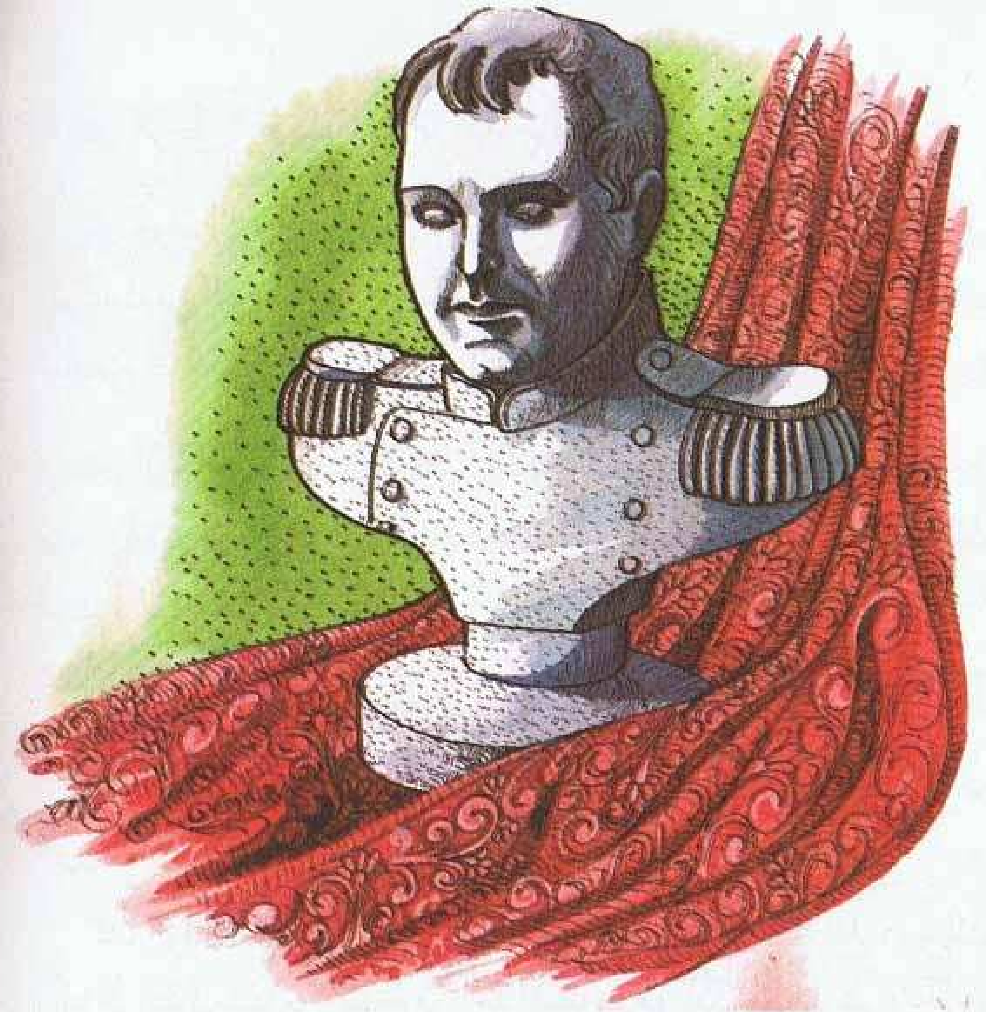
قالَ ٱلرَّجُلُ : « نَعَمْ ، لَقَدْ كانَ آخِرُ أَجْرٍ تَقاضاهُ بِيُّو مِنّي في ٱلعِشْرينَ مِنْ مايُو (أَيّار) في ٱلعامِ ٱلماضي ، فَلا بُدَّ أَنْ يَكونَ قَدِ ٱعتُقِلَ بَعْدَ ذٰلِكَ مُباشَرَةً . »

قالَ هُولمْز : « شُكْرًا جَزيلًا ، لَقَدْ كُنْتَ ذا عَوْنٍ كَبيرٍ لي . لا بُدَّ أَنْ أَنْصَرِفَ ٱلآنَ ، وَأَرْجو أَلَّا تَنْسى ما قُلْتُهُ لَكَ : لا تُخْبِرْ صَديقَ بِيُّو بِأَيِّ شَيْءٍ . »

كانَ ٱلوَقْتُ قَدْ قارَبَ ٱلعَصْرَ ، وَكانَ ٱلجوعُ قَدْ بَلَغَ مِنّا ما بَلَغَ ، وَلِذٰلِكَ رَأَيْنا أَنْ نَتَناوَلَ شَيْئًا مِنَ ٱلطَّعامِ في أَحَدِ ٱلمَطاعِمِ قَبْلَ أَنْ نَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ آخَرَ . وَٱشتَرى هُولمْز إحْدى ٱلصُّحُف ، وَقَرَأْنا فيها ٱلقِصَّةَ ٱلمُثيرَةَ ٱلَّتي كَتَبَها ٱلسَّيِّدُ هارْكَر عَنِ ٱلمَجْنونِ ٱلَّذي يُبْغِضُ نابُلْيون . وَكانَ مُعْظَمُ ما جاءَ في ٱلقِصَّةِ غَيْرَ صَحيحٍ ، وَلٰكِنَّ هُولمْز أَخَذَ يَضْحَكُ وَيَضْحَكُ ، عَلى أَساسِ أَنَّ ٱلمَسْأَلَةَ لا تَعْدو أَنْ تَكونَ دُعابَةً لَطيفَةً .

قالَ هُولمْز : « مِنَ ٱلسَّهْلِ أَنْ تَجْعَلَ هٰؤُلاءِ ٱلنّاسَ يُعاوِنونَنا يا واطْسُن . »

في ٱلحَقيقَةِ ، لَمْ أَفْهَمْ ماذا قَصَدَ بِهٰذِهِ ٱلعِبارَةِ ، وَلٰكِنِّي شارَكْتُهُ في



ٱلضَّحِكِ مِنَ ٱلقِصَّةِ ٱلسَّاذَجَةِ ٱلتي قَرَأناها في ٱلصَّحيفَةِ .

بَعْدَ أَنْ فَرَغنا مِنْ طَعامِنا ٱتَّجَهْنا مُباشَرَةً إلى مَتْجَرِ ٱلإخوةِ هارْدِنغ ، وَكانَ ٱلسَّيِّدُ هارْدِنغ رَجُلًا ضَئيلَ ٱلجِسْمِ ، كَثيرَ ٱلمَشاغِلِ ، وَأَخَذَ يُجيبُ عَنْ أَسْئِلَتِنا بِسُرْعةٍ وَوُضوحٍ ، وَتَبَيَّنَ مِنْ حَديثِنا مَعَهُ أَنَّهُ باعَ تِمْثالًا لِلسَّيِّدِ هارْكَر ، وَهُوَ ٱلتِّمْثالُ ٱلَّذي هُشِّمَ . كَما باعَ تِمْثالًا آخَرَ لِلسَّيِّدِ جوسْياه براون ٱلَّذي يُقيمُ في تْشيزْويك بِلَنْدن . أَمّا ٱلتِّمْثالُ ٱلثّالِثُ فَقَدْ بيعَ لِلسَّيِّدِ

ساندفورْد ٱلَّذي يُقيمُ في ريدنِغ خارِجَ لَنْدَن .

بَدا واضِحًا عَلى هُولمْز ٱلاهْتِمامُ ٱلشَّديدُ بِهٰذِهِ ٱلمَعْلوماتِ ، وَقَدَّمَ ٱلشكْرَ لِلسَّيِّدِ هارْدِنغ . وَلَمّا كانَ ٱلوَقْتُ مُتَأَخِّرًا فَقَدْ بادَرْنا بِالعَوْدةِ إلى شارِعِ بيكَر لِكَيْ نَسْتَقْبِلَ ضابِطَ ٱلمباحِثِ لِيسْترِيد .

الفَصْـلُ ٱلخامِـسُ

عِنْدَما وَصَلْنا رَأَيْنا لِيسْترِيد في ٱنْتِظارِنا ، وَكانَ يَبْدو سَعيدًا راضِيًا .

بادَرَ لِيسْترِيد هُولمْز بالسُّؤالِ : « هَلِ ٱهْتَدَيْتَ إلى شَيْءٍ مُهِمٍّ يا سَيِّدُ هُولمْز ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « إنَّنا نَعْرِفُ ٱلكَثيرَ عَنِ ٱلتَّماثيلِ ٱلآنَ . »

قالَ لِيسْترِيد : « التَّماثيلُ ؟ » ثُمَّ أَخَذَ يَضْحَكُ وَيَقولُ : « أَنا أَعْلَمُ أَنَّكَ مُخْبِرٌ ذَكِيٌّ يا سَيِّدُ هُولمْز . وَلٰكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّني ٱهْتَدَيْتُ إلى ما هُوَ أَهَمُّ مِنْ ذٰلِكَ . »

قالَ هُولمْز : « إلامَ ٱهْتَدَيْتَ ؟ »

أَجابَ لِيسْترِيد : « إنَّني أَعْرِفُ ٱلآنَ مَنْ هُوَ ٱلرَّجُلُ ٱلمَقْتولُ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّني ٱهْتَدَيْتُ إلى سَبَبِ قَتْلِهِ . »

قالَ هُولمْز مُبْتَسِمًا ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ بَقِيَّةَ ٱلحَديثِ : « عَظيمٌ جِدًّا يا سَيِّدُ لِيسْترِيد ! »

اِسْتَمَرَّ لِيسْتريد في حَديثِهِ فَقالَ : « لَدَيْنا في سكوتْلانْديارْد ضابِطُ مَباحِثَ يَعْرِفُ ٱلكَثيرَ مِنَ ٱلإيطالِيِّينَ ٱلَّذين يُقيمونَ في لَنْدَن ، وَهُوَ يَعْرِفُ ٱلقَتيلَ مَعْرِفَةً جَيِّدَةً ، وَٱسْمُهُ بيتْرو ڤينوتْشي . وَقَدْ كانَ لِصًّا خَطيرًا ، وَعُضْوًا في مُنَظَّمَةِ المافيا ٱلإيطالِيَّةِ ٱلسِّرِّيَّةِ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ عَمَلَهُ في ٱلمُنَظَّمَةِ هُوَ مُعاقَبَةُ أَعْضائِها ٱلَّذينَ يَخْرُجونَ عَلى نِظامِها وَقَواعِدِها ، وَٱلعِقابُ عادَةً هُوَ ٱلقَتْلُ . وَلابُدَّ أَنَّ ٱلرَّجُلَ صاحِبَ ٱلصُّورَةِ ٱلفوتوغْرافِيَّةِ كانَ قَدْ خَرَجَ عَلى قَواعِدِ ٱلمُنَظَّمَةِ ، وَأَنَّ ڤينوتْشي كانَ يُطارِدُهُ . وَيَبْدو أَنَّ عِراكًا قَدْ نَشِبَ بَيْنَهُما ، وَأَنَّ ڤينوتْشي قُتِلَ في هٰذا ٱلعِراكِ . »

اِبْتَسَمَ هُولمْز في وَجْهِ لِيسْتريد وَقالَ : « عَظيمٌ جِدًّا يا سَيِّدُ لِيسْتريد ! لَقَدْ كَشَفْتَ لي بِكُلِّ وُضوحٍ عَنْ سَبَبِ تَحْطيمِ ٱلتَّماثيلِ . »

قالَ لِيسْتريد بِصَوْتٍ يَكادُ يَكونُ صِياحًا : « هٰذِهِ ٱلتَّماثيلُ ! أَلا تَسْتَطيعُ أَنْ تَنْساها يا سَيِّدُ هُولمْز ؟ إِنَّها لَيْسَتْ بِذاتِ أَهَمِّيَّةٍ ... إِنَّ تَحْطيمَها جَريمَةٌ لا تَزيدُ عُقوبَتُها عَلى ٱلسَّجْنِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ . إِنَّ بيتْرو ڤينوتْشي قَدْ قُتِلَ ، وَهٰذا وَحْدَهُ هُوَ ٱلَّذي يَعْنيني . »

قالَ هُولمْز في هُدوءٍ : « إِنَّني أُدْرِكُ وِجْهَةَ نَظَرِكَ . تُرى ماذا سَتَفْعَلُ بَعْدَ ذٰلِكَ يا سَيِّدُ لِيسْتريد ؟ »

أَجابَ لِيسْتريد : « سَأَذْهَبُ إِلى ٱلمِنْطَقَةِ ٱلَّتي يُقيمُ فيها ٱلإيطالِيُّون في لَنْدَن لَعَلّي أَهْتَدي إِلى صاحِبِ ٱلصُّورَةِ ٱلفوتوغْرافِيَّةِ ، فَهَلْ تُحِبُّ أَنْ تَذْهَبَ مَعي ؟ »

قالَ هُولمْز وَقَدْ بَدا عَلَيْهِ ٱلاهتِمام : « لا ، شُكْرًا لَكَ . أَعْتَقِدُ أَنَّنا نَسْتَطيعُ أَنْ نَهْتَدِيَ إِلَيْهِ بِسُهولَةٍ وَيُسْرٍ في مَكانٍ آخَرَ ٱللَّيْلَةَ . »

قالَ لِيسْتريد : « حَقًّا ؟ أَيْنَ ؟ »

قالَ هُولمْز : « في مَكانٍ في تْشيزْوِيك ، وَإِذا صَحِبْتَني ٱللَّيْلَةَ فَسَوْفَ أَذْهَبُ مَعَكَ غَدًا إِلى أَيِّ مَكانٍ تَشاءُ . »

اعْتَرَتْ لِيسْتريد ٱلدَّهْشَةُ ، لٰكِنَّهُ وافَقَ عَلى ما ٱقْتَرَحَهُ هُولمْز .

تناوَلْنا مَعًا ٱلعَشاءَ مُبَكِّرًا . ثُمَّ طَلَبَ هُولمْز مِنّا – أنا وَلِيسْتريد – أَنْ نَجْلِسَ لِنَسْتَريحَ حَتّى ٱلحادِيَةَ عَشْرَةَ مَساءً .

الحَقيقَةُ أَنَّ هُولمْز لَمْ يَسْتَرِحْ ، وَإِنَّما قَضى ٱلوَقْتَ في غُرْفَتِهِ يَتَفَحَّصُ بَعْضَ ٱلصُّحُفِ ٱلقَديمَةِ ٱلَّتي يَحْتَفِظُ بِالكَثيرِ مِنْها في مَكْتَبِهِ . وَقَدْ جالَ في خاطِري أَنَّهُ رُبَّما كانَ يَبْحَثُ في هٰذِهِ ٱلصُّحُفِ عَنْ مَعْلوماتٍ تَتَعَلَّقُ بِڤينوتْشي أَوْ بِيُّو .

الفَصْلُ ٱلسّادِسُ

اِسْتَيْقَظْتُ أَنا وَلِيسْتريد في ٱلسّاعَةِ ٱلعاشِرَةِ وَٱلنِّصْفِ . كانَ هُولمْز في ٱنْتِظارِنا ، وَطَلَبَ مِنّي أَنْ أُحْضِرَ مَعي مُسَدَّسي ، وَرَأَيْتُهُ ، قَبْلَ أَنْ نَبْرَحَ ٱلمَنْزِلَ ، يَلْتَقِطُ عَصاهُ ٱلمَتينَةَ ٱلمُحَبَّبَةَ ٱلَّتي يَتَّكِئُ عَلَيْها .

رَكِبْنا ٱلسَّيَّارَةَ على عَجَلٍ إلى تْشِيزْوِيك حَيْثُ أَخَذَنا هُولمْز إلى مَنْزِلٍ في شارِعٍ مُظْلِمٍ . وَ خُيِّلَ إِلَيْنا أَنَّ سُكَّانَ ٱلمَنْزِلِ لا بُدَّ أَنْ يَكونوا قَدْ أَوَوْا إلى مَخادِعِهِمْ ، إِذْ كانَ ٱلظَّلامُ ٱلحالِكُ وَ ٱلهُدوءُ ٱلشَّامِلُ يُخَيِّمانِ عَلى ٱلمَنْزِلِ .

قالَ هُولمْز في صَوْتٍ خافِتٍ : « مِنْ حُسْنِ ٱلحَظِّ أَنَّ ٱلمَطَرَ لا يَهْطِلُ ، لِأَنَّنا قَدْ نُضْطَرُّ إلى ٱلانْتِظارِ فَتْرَةً طَويلَةً . وَ يَنْبَغي أَلَّا نُدَخِّنَ ، وَ أَنْ نَكونَ في مُنْتَهى ٱلسُّكونِ ، وَلٰكِنْ عِنْدي أَمَلٌ أَنَّنا مُقْبِلونَ عَلى ٱكْتِشافِ شَيْءٍ ما ٱللَّيْلَةَ . »

اِنْقَضَتْ خَمْسُ دَقائِقَ . وَ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ ما يَدْعو إلى أَنْ يَطولَ ٱنْتِظارُنا أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ ، فَقَدْ رَأَيْنا بابَ ٱلحَديقَةِ يُفْتَحُ فَجْأَةً ، وَ لَمَحْنا رَجُلًا يُهَرْوِلُ عَبْرَ مَمَرِّ ٱلحَديقَةِ مُتَّجِهًا نَحْوَ ٱلمَنْزِلِ . كانَ ٱلظَّلامُ دامِسًا ، وَ كانَ ٱلرَّجُلُ يَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ ، حَتَّى لَقَدْ كانَ مِنَ ٱلمُسْتَحيلِ أَنْ نَتَبَيَّنَ وَجْهَهُ ، ثُمَّ ٱخْتَفى في ٱلظَّلامِ . أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ بَقِينا نَنْتَظِرُ صامِتِينَ ، وَ كانَ أَوَّلُ ما سَمِعْنا بَعْدَ ذٰلِكَ هُوَ صَوْتَ نافِذَةٍ تُفْتَحُ في بُطْءٍ شَديدٍ ، ثُمَّ رَأَيْنا ضَوْءًا خافِتًا داخِلَ ٱلحُجْرَةِ ٱلأَمامِيَّةِ مِنْ حُجُراتِ ٱلمَنْزِلِ .

قالَ لِيسْتْرِيد : « هَلُمَّ بِنا إلى ٱلنَّافِذَةِ ٱلمَفْتوحَةِ ، وَمِنْ ثَمَّ نَسْتَطيعُ أَنْ نُمْسِكَ بِهِ حِينَما يَخْرُجُ . »

لٰكِنْ قَبْلَ أَنْ نَتَحَرَّكَ رَأَيْنا ٱلرَّجُلَ يَتَّجِهُ إلى ٱلخارِجِ ثانِيَةً ، وَ ٱسْتَطَعْنا أَنْ نَلْمَحَ ، مِنْ خِلالِ ٱلضَّوْءِ ٱلمُنْبَعِثِ مِنَ ٱلحُجْرَةِ أَنَّهُ يَحْمِلُ شَيْئًا أَبْيَضَ تَحْتَ ذِراعِهِ ، وَ تَلَفَّتَ ٱلرَّجُلُ يَمْنَةً وَ يَسْرَةً لِيَرى هَلْ هُناكَ مَنْ يُراقِبُهُ . وَ فَجْأَةً

سَمِعْنا صَوْتَ ٱرْتِطامِ ٱلشَّيْءِ ٱلَّذي كانَ يَحْمِلُهُ بِالجِدارِ لِيَتَهَشَّمَ وَ يُصْبِحَ حُطامًا . وَ كانَ ٱلرَّجُلُ مَشْغولًا بِما فَعَلَ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَرَنا وَ نَحْنُ نَتَّجِهُ إِلَيْهِ . وَ وَثَبَ هُولمْز عَلى ظَهْرِ ٱلرَّجُلِ فَهَوى إلى ٱلأَرْضِ بِشِدَّةٍ ، أَمَّا أَنا وَلِيسْتْرِيد فَقَدْ سارَعْنا لِمُعاوَنَةِ هُولمْز ، وَ كُنْتُ أُمْسِكُ بِمُسَدَّسي وَ أَنا مُسْتَعِدٌّ لِإِطْلاقِهِ إذا ٱقْتَضى ٱلأَمْرُ . وَ هٰكَذا أَصْبَحَ مِنَ ٱلمُسْتَحيلِ عَلى ٱلرَّجُلِ أَنْ يُفْلِتَ وَ يَهْرُبَ .

تَطَلَّعَ إِلَيْنا وَ هُوَ مُمَدَّدٌ عَلى ٱلأَرْضِ . وَ كانَ وَجْهُهُ في غايَةِ ٱلقُبْحِ ، وَ كانَ



واضِحًا أَنَّهُ قَدْ أَخَذَتْهُ ٱلدَّهْشَةُ وَٱلغَضَبُ . وَأَدْرَكْتُ عَلى ٱلفَوْرِ أَنَّهُ صاحِبُ ٱلصُّورَةِ .

بَيْنَما كُنّا نَحْتَجِزُ ٱلرَّجُلَ ، أَخَذَ هُولمْز يَتَأَمَّلُ في ٱلقِطَعِ ٱلمُهَشَّمَةِ لِلتِّمْثالِ ، وكانَ تِمْثالًا آخَرَ مِنْ تَماثيلِ نابُلْيون . وَراحَ هُولمْز يَتَناوَلُ كُلَّ قِطْعَةٍ مِنْهُ وَيَفْحَصُها تَحْتَ أَشِعَّةِ ٱلضَّوْءِ ، وَعِنْدَما أَوْشَكَ أَنْ يَنْتَهِيَ مِنْ فَحْصِهِ ، أَضاءَ شَخْصٌ أَنوارَ ٱلمَنْزِلِ ، وَإِذا بِرَجُلٍ سَمينٍ قَصيرِ ٱلقامَةِ يَخْرُجُ مِنَ ٱلمَنْزِلِ وَيَتَّجِهُ إِلى هُولمْز ثُمَّ يَقولُ وَعَلى ثَغْرِهِ ٱبْتِسامَةٌ : « لا بُدَّ أَنَّكَ ٱلسَّيِّدُ شِرْلُوك هُولمْز . »

أَجابَ هُولمْز : « نَعَمْ ، وَلا بُدَّ أَنَّكَ ٱلسَّيِّدُ جوسْياه براوِن . »

« نَعَمْ يا سَيِّدي ، لَقَدْ نَفَّذْنا كُلَّ ما طَلَبْتَهُ مِنّا : أَغْلَقْنا جَميعَ ٱلأَبْوابِ داخِلَ ٱلمَنْزِلِ ، وَأَطْفَأْنا جَميعَ ٱلأَنْوارِ ، ثُمَّ ٱنتَظَرْنا في سُكونٍ تامٍّ . لَقَدْ قُمْتَ بِعَمَلٍ جَليلٍ يا سَيِّدي . أَرْجو أَنْ تَتَفَضَّلَ بِالدُّخولِ لِتَناوُلِ بَعْضِ ٱلطَّعامِ وَٱلشَّرابِ . »

قَدَّمَ هُولمْز ٱلشُّكْرَ لِلسَّيِّدِ براوِن . وَلٰكِنَّ لِيسْترِيد أَرادَ أَنْ يَقْتادَ ٱللِّصَّ إِلى مَرْكَزِ ٱلشُّرْطَةِ ، لِذا رَكِبْنا ٱلسَّيّارَةَ جَميعًا مُتَّجِهينَ إِلى سكُوتْلانْديارْد . وَفي أَثْناءِ ٱلطَّريقِ لَمْ يَنْطِقِ ٱللِّصُّ بِكَلِمَةٍ ، وَإِنَّما كانَ يَرْنو بِعَيْنَيْهِ إِلَيْنا طَوالَ ٱلوَقْتِ . وَكانَ وَجْهُهُ يَبْدُو في غايَةِ ٱلبَشاعَةِ . وَعِنْدَما وَصَلْنا إِلى سكُوتْلانْديارْد كانَ عَلَيْنا – أَنا وَهُولمْز – أَنْ نَنْتَظِرَ فَتْرَةً طَويلَةً لِكَيْ نَكْتَشِفَ

أَنَّ ٱلرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ في حَوْزَتِهِ شَيْءٌ إِلّا قَليلٌ مِنَ ٱلنُّقودِ ، وَسِكّينٌ طَويلَةٌ عَلِقَ بِها دَمٌ جافٌّ .

وَحينَما كُنّا نَتَأَهَّبُ لِلانْصِرافِ قالَ لِيسْترِيد : « وَٱلآنَ يا سَيِّدُ هُولمْز أَرى لِزامًا عَلَيَّ أَنْ أَشْكُرَ لَكَ كُلَّ ما قَدَّمْتَ مِنْ عَوْنٍ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّكَ تُوافِقُني ٱلآنَ عَلى جَميعِ تَوَقُّعاتي ، فَقَدْ كانَتْ صائِبَةً . »

تَبَسَّمَ هُولمْز وَقالَ : « إِنَّ ٱلوَقْتَ مُتَأَخِّرٌ ، وَلا أَسْتَطيعُ أَنْ أُوَضِّحَ لَكَ ٱلأَمْرَ ٱلآنَ ، وَلٰكِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّكَ سَوْفَ تَرى فيما بَعْدُ أَنَّ مَسْأَلَةَ ٱلتَّماثيلِ ٱلنِّصْفِيَّةِ لَها مِنَ ٱلأَهَمِّيَّةِ أَكْثَرُ مِمّا تَظُنُّ . فَهَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تَحْضُرَ لِمُقابَلَتي في ٱلسّاعَةِ ٱلسّادِسَةِ مِنْ مَساءِ ٱلغَدِ ؟ »

قالَ لِيسْترِيد : « بِالتَّأْكيدِ ، إِنَّهُ لَيُسْعِدُني دائِمًا أَنْ أَزورَكَ ، وَيَسُرُّني كَثيرًا أَنْ أَلْقاكَ . »

أَثْناءَ عَوْدَتِنا إِلى ٱلمَنْزِلِ قالَ لي هُولمْز : « أَعْتَقِدُ أَنَّ لِيسْترِيد ضابِطُ مَباحِثَ مُمْتازٌ ، وَلٰكِنْ – في هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةِ – غابَتْ عَنْهُ بَعْضُ ٱلأَشْياءِ . وَإِنّي لَأَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةَ مِنْ أَغْرَبِ ٱلقَضايا ٱلَّتي تَوَلَّيْتُها في حَياتي يا واطْسُن . »

قُلْتُ : « أَحَقًّا ؟ تُرى ما ٱلأَمْرُ ٱلجَديدُ ٱلَّذي تَظُنُّ أَنَّهُ في حاجَةٍ إِلى ٱسْتِجْلاءٍ ؟ »

أَجابَ : « ٱلتَّماثيلُ يا واطْسُن ! أَعْتَقِدُ أَنَّها تُمَثِّلُ أَهَمَّ رُكْنٍ في هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةِ . »

الفَصْلُ السّابِعُ

في السّاعةِ السّادِسةِ مِنْ مَساءِ اليَوْمِ التّالي جاءَ لِيسْتْرِيد إلى شارِعِ بيكر لِلِقائنا . وَ كانَ قَدْ تَوَصَّلَ إلى مَعْلوماتٍ كَثيرةٍ عَنْ بِپو : فَقَدْ وَجَدَ أَنَّهُ لِصٌّ مَشْهورٌ ، وَ أَنَّهُ قَتَلَ عَدَدًا مِنَ النّاسِ ، وَ أَنَّهُ كانَ ماهِرًا في صُنْعِ التَّماثيلِ النِّصْفِيَّةِ وَ غيرِها مِنَ التُّحَفِ الفَنِّيَّةِ ، وَ أَنَّهُ كانَ يَعيشُ في لَنْدَن مُنْذُ سَنواتٍ طَويلةٍ ، وَ يُتْقِنُ الإنْجليزِيَّةَ ، وَ مِنَ المُحْتَمَلِ أَنَّهُ هُوَ الّذي صَنَعَ التَّماثيلَ النِّصْفِيَّةَ الّتي في مَتْجرِ غيلْدَر وَ شُرَكاه .

كانَ هُولمْز يُصْغي إلى ما يَقولُهُ لِيسْتْرِيد وَ عَلى وَجْهِهِ ابْتِسامةٌ ، وَ لٰكِنَّني أَدْرَكْتُ أَنَّ أَفْكارَهُ – في الحَقيقةِ – مُنْصَرِفةٌ إلى شَيْءٍ آخَرَ . لَقَدْ كانَ يَعْرِفُ كُلَّ ما يُقَدِّمُهُ لِيسْتْرِيد مِنْ مَعْلوماتٍ . وَ كُنْتُ واثِقًا أَنَّهُ كانَ مُنْتَظِرًا أَنْ يُخْبِرَهُ بِشَيْءٍ لَمْ يَعْرِفْهُ مِنْ قَبْلُ .. شَيْءٍ يَبْعَثُ الإثارةَ وَ الدَّهْشةَ .

دُقَّ جَرَسُ البابِ الخارِجيِّ ، ثُمَّ سَمِعْنا وَقْعَ خُطُواتِ شَخْصٍ قادِمٍ نَحْوَ بابِ الغُرْفةِ الّتي كُنّا جالِسينَ فيها ، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ كَبيرُ السِّنِّ أَحْمَرُ الوَجْهِ ، يَحْمِلُ حَقيبةً كَبيرةً ، وَضَعَها فَوْقَ المِنْضَدةِ ثُمَّ سَأَلَ : « هَلِ السَّيِّدُ شِرْلوك هُولمْز هُنا ؟ »

ابْتَسَمَ هُولمْز وَ قالَ : « أَنا شِرْلوك هُولمْز ، وَ أَنْتَ لا بُدَّ أَنْ تَكونَ السَّيِّدَ ساند فورْد مِنَ ريدِنغ . إنَّني مَسْرورٌ بِلِقائِكَ . هٰذا صَديقي الدُّكْتور واطْسُن ، وَ هٰذا هُوَ السَّيِّدُ لِيسْتْرِيد مِنْ سْكوتْلانديارْد . »

حَيّا كِلانا السَّيِّدَ ساند فورْد ، وَ أَبْدى أَسَفَهُ لِتَأَخُّرِهِ في القُدومِ ، لِأَنَّ القِطارَ الّذي رَكِبَهُ لَمْ يَصِلْ في ميعادِهِ ، ثُمَّ أَخْبَرَ هُولمْز أَنَّهُ أَحْضَرَ لَهُ تِمْثالَ نابُلْيون . وَ كانَ مَعَ الرَّجُلِ رِسالةٌ تَلَقّاها مِنْ هُولمْز ، فَوَجَّهَ إلَيَّ وَ إلى لِيسْتْرِيد الكَلامَ قائِلًا :

« أَيُّها السَّيِّدانِ ، أُريدُ مِنْكُما أَنْ تَسْتَمِعا إلى ما جاءَ في رِسالةِ السَّيِّدِ هُولمْز الّتي بَعَثَ بِها إلَيَّ بِالأَمْسِ . » ثُمَّ شَرَعَ يَتْلوها :

« عَزيزي السَّيِّدَ ساند فورْد : لَقَدْ عَلِمْتُ مِنَ السَّيِّدِ هارْدِنغ صاحِبِ مَتْجرِ



اَلتُّحَفِ اَلْفَنِّيَّةِ اَلإِخْوَةِ هارْدِنغ ، أَنَّكَ قَدِ اَشْتَرَيْتَ مِنْهُ آخِرَ تِمْثالٍ نِصْفِيٍّ مِنَ اَلْجِصِّ لِنابُلْيون كانَ في مَتْجَرِهِ ، وَلَمّا كانَتْ رَغْبَتي شَديدَةً في اَقْتِناءِ هٰذا اَلتِّمْثالِ ، فَإِنّي أَعْرِضُ عَلَيْكَ عَشَرَةَ جُنَيْهاتٍ ثَمَنًا لَهُ . فَإِذا وافَقْتَ أَرْجو اَلتَّفَضُّلَ بِإِحْضارِهِ إِلى مَسْكَني بِشارِعِ بيكَر بِلَنْدَن ، غَدًا في اَلسّاعَةِ اَلسّادِسَةِ وَاَلنِّصْفِ .

المُخْلِصُ

شِرْلوك هُولمز

بَعْدَ أَنْ تَلا اَلرِّسالَةَ سَأَلَ هُولمز : « هَلْ تَعْرِفُ اَلثَّمَنَ اَلَّذي اَشْتَرَيْتُ بِهِ هٰذا اَلتِّمْثالَ ؟ »

قالَ هُولمز : « لا ! »

قالَ اَلرَّجُلُ : « حَسَنًا ! إِنَّني لَسْتُ لِصًّا يا سَيِّدُ هُولمز ! لَقَدْ دَفَعْتُ فَقَطْ – خَمْسَةَ عَشَرَ شِلِنًا ثَمَنًا لَهُ ، فَإِذا لَمْ تَكُنْ راغِبًا في شِرائِهِ اَلآنَ – بَعْدَ أَنْ عَرَفْتَ ثَمَنَهُ اَلْحَقيقِيَّ – فَإِنَّ ذٰلِكَ يُسْعِدُني كَثيرًا . »

قالَ هُولمز : « أَنا لا أَزالُ راغِبًا في اَقْتِناءِ اَلتِّمْثالِ . هاكَ عَشَرَةَ جُنَيْهاتٍ . »

قَدَّمَ هُولمز اَلنُّقودَ إِلى اَلسَّيِّدِ ساندفورد ، اَلَّذي شَكَرَ هُولمز ، ثُمَّ فَتَحَ اَلْحَقيبَةَ وَأَخْرَجَ مِنْها تِمْثالًا نِصْفِيًّا مِنَ اَلْجِصِّ لِنابُلْيون ، يُشْبِهُ بَقِيَّةَ اَلتَّماثيلِ .

قالَ هُولمز : « شُكْرًا يا سَيِّدُ ساندفورد . وَاَلآنَ ، قَبْلَ أَنْ نَذْهَبَ ، أُريدُ أَنْ تُوَقِّعَ بِاَسْمِكَ عَلى هٰذِهِ اَلْوَرَقَةِ اَلَّتي تَتَضَمَّنُ أَنَّكَ بِعْتَ لِيَ اَلتِّمْثالَ بِعَشَرَةِ جُنَيْهاتٍ ، وَأَنَّهُ أَصْبَحَ اَلآنَ مِلْكًا لي . »

قالَ ساندفورد وَهُوَ يُوَقِّعُ بِاَسْمِهِ عَلى اَلْوَرَقَةِ : « بِالتَّأْكيدِ ! » ثُمَّ غادَرَ اَلْمَكانَ ، وَسَمِعْنا صَوْتَ اَلْبابِ اَلأَمامِيِّ وَهُوَ يُغْلَقُ عَقِبَ خُروجِهِ .

الفَصْلُ اَلثّامِنُ

لَمْ يَكَدِ اَلسَّيِّدُ ساندفورد يُغادِرُ اَلْمَنْزِلَ حَتّى أَخَذَ هُولمز يَقومُ بِبَعْضِ اَلتَّصَرُّفاتِ اَلْغَريبَةِ ، وَكُنّا أَنا وَلِيسْتريد نُراقِبُهُ بِاَهْتِمامٍ .

كانَ أَوَّلُ ما فَعَلَهُ أَنْ أَخْرَجَ قِطْعَةَ قُماشٍ بَيْضاءَ نَظيفَةً مِنَ اَلصِّوانِ ، وَبَسَطَها عَلى اَلْمِنْضَدَةِ ، ثُمَّ وَضَعَ اَلتِّمْثالَ بِعِنايَةٍ . وَتَناوَلَ عَصاهُ وَضَرَبَ بِها اَلتِّمْثالَ بِشِدَّةٍ فَتَهَشَّمَ قِطَعًا صَغيرَةً . وَهُنا صاحَ هُولمز صَيْحَةً عالِيَةً ، وَاَلْتَقَطَ مِنْ فَوْقِ قِطْعَةِ اَلْقُماشِ شَيْئًا صَغيرًا أَسْوَدَ ، وَقالَ وَنَحْنُ نَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ في صَمْتٍ : « هٰذِهِ هِيَ لُؤْلُؤَةُ بورْجيا اَلسَّوْداءُ ! »

الحَقُّ لَقَدْ أَخَذَتْنا دَهْشَةٌ شَديدَةٌ ، وَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ هَتَفْتُ : « يا لَعَبْقَرِيَّتِكَ يا هُولمز ! كَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّ اَللُّؤْلُؤَةَ كانَتْ في اَلتِّمْثالِ ؟ »

وَقالَ لِيسْتريد في هُدوءٍ : « هٰذا مُسْتَحيلٌ ! »

شَرَعَ هُولمز يُوَضِّحُ لَنا اَلأَمْرَ فَقالَ : « إِنَّ هٰذِهِ اَللُّؤْلُؤَةَ تُعَدُّ أَثْمَنَ لُؤْلُؤَةٍ في



العالَمِ ، وَكانَتْ قَدْ سُرِقَتْ مِنْ غُرْفَةِ الفُنْدُقِ الَّذي تَنْزِلُ فِيهِ أَميرةُ كُولُونّا في الثّاني وَالعِشْرينَ مِنْ شَهْرِ مايُو (أَيّار) مُنْذُ عامٍ مَضى . » ثُمَّ وَجَّهَ الكَلامَ إلى لِيسْتْرِيد قائِلًا : « أَنْتَ ، بِالطَّبْعِ ، تَذْكُرُ هٰذا الحادِثَ يا سَيِّدُ لِيسْتْرِيد . »

أَجابَ لِيسْتْرِيد : « نَعَمْ أَذْكُرُهُ . »

اِسْتَمَرَّ هُولْمز في حَديثِهِ قائِلًا : « حَسَنًا ، لَعَلَّكَ تَذْكُرُ أَيْضًا أَنَّ الفُنْدُقَ الَّذي كانَتْ تَنْزِلُ بِهِ قَريبٌ مِنَ المِنْطَقَةِ الَّتي يَقَعُ فيها مَتْجَرُ غِيلْدَر وَشُرَكائِهِ ، وَلَقَدْ ظَنَّتِ الشُّرْطَةُ يَوْمَئِذٍ أَنَّ اللُّؤْلُؤَةَ سَرَقَتْها فَتاةٌ إيطالِيَّةٌ كانَتْ تَعْمَلُ في

الفُنْدُقِ وَتُدْعى لوكْرِيتيا فِينُوتْشي ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذي قُتِلَ مُنْذُ يَوْمَيْنِ وَالمُسَمّى بِيتْرو كانَ شَقيقَها .

« لَقَدْ تَصَفَّحْتُ ما عِنْدي مِنَ الصُّحُفِ القَديمَةِ ، وَاكْتَشَفْتُ أَنَّ بِپّو أُدْخِلَ السِّجْنَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ فَقَطْ مِنْ سَرِقَةِ اللُّؤْلُؤَةِ ، وَفي الفَتْرَةِ نَفْسِها الَّتي صُنِعَتْ فِيها التَّماثيل . وَأَظُنُّ أَنَّ بِيتْروفِينُوتْشي وَ بِپّو قَدِ اشْتَرَكا في سَرِقَةِ اللُّؤْلُؤَةِ . وَهُناكَ احْتِمالٌ آخَرُ ، وَهُوَ أَن فِينُوتْشي سَرَقَتْها مِنْ بِپّو . عَلى أَيَّةِ حالٍ لَيْسَ لِهٰذا أَهَمِّيَّةٌ ، وَإِنَّما المُهِمُّ هُوَ أَنَّ اللُّؤْلُؤَةَ كانَتْ مَعَ بِپّو حِينَما حاوَلَتِ الشُّرْطَةُ اعْتِقالَهُ عَقِبَ العِراكِ الَّذي نَشِبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إيطاليٍّ آخَرَ في الشّارِعِ ، حَيْثُ جَرى إلى مَتْجَرِ غِيلْدَر وَأَرادَ أَنْ يُخْفِيَ اللُّؤْلُؤَةَ ، وَلٰكِنْ أَيْنَ ؟ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ فُسْحَةٌ مِنَ الوَقْتِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمَحَ تَماثيلَ نابُلْيُون الجَصِّيَّةَ الَّتي كانَتْ قَدْ صُبَّتْ مُنْذُ فَتْرَةٍ وَجيزَةٍ ، وَلَمْ تَكُنْ قَدْ جَفَّتْ بَعْدُ ، فَدَسَّ اللُّؤْلُؤَةَ في إحْداها وَغَطّى الثُّقْبَ الَّذي أَحْدَثَهُ . وَلَقَدِ اسْتَطاعَ أَنْ يَقومَ بِهٰذِهِ العَمَلِيَّةِ في سُرْعَةٍ وَيُسْرٍ لِأَنَّهُ سَبَقَ أَنْ صَنَعَ كَثيرًا مِنَ التَّماثيلِ المُماثِلَةِ فيما مَضى ، وَكانَ هٰذا خَيْرَ مَكانٍ يُمْكِنُ أَنْ يُخْفِيَ فيهِ اللُّؤْلُؤَةَ .

زُجَّ بِپّو في السِّجْنِ لِمُدَّةِ سَنَةٍ بِسَبَبِ العِراكِ . وَفي أَثْناءِ هٰذِهِ الفَتْرَةِ بِيعَتِ التَّماثيلُ السِّتَّةُ . وَلٰكِنْ – لِحُسْنِ حَظِّهِ – كانَ لَهُ صَديقٌ يَعْمَلُ عِنْدَ غِيلْدَر وَشُرَكاهُ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذا الصَّديقَ اسْتَطاعَ أَنْ يُزَوِّدَهُ بِأَسْماءِ الَّذينَ اشْتَرَوْا التَّماثيلَ .

كانَ هُناكَ سِتَّةٌ مِنْ هٰذِهِ ٱلتَّماثيلِ ، خَمْسَةٌ مِنْها في لَنْدَن ، وَواحِدٌ في ريدِنغ . وَهٰكَذا شَرَعَ بِپو في ٱلبَحْثِ عَنِ ٱلتِّمْثالِ ٱلَّذي يَحْوي ٱللُّؤْلُؤَةَ . وَبِالطَّبْعِ ، كانَ مِنَ ٱلأَفْضَلِ لَهُ أَنْ يَبْدَأَ ٱلبَحْثَ في لَنْدَن ، وَيَبْدو أَنَّ ڤينوتْشي ٱكْتَشَفَ أَنَّ بِپو قَدْ عَرَفَ مَكانَ ٱللُّؤْلُؤَةِ . وَلِذٰلِكَ حاوَلَ أَنْ يَهْتَدِيَ إِلَيْهِ عَقِبَ خُروجِهِ مِنَ ٱلسِّجْنِ ، فَلَمَّا وَجَدَهُ تَبِعَهُ إِلى مَنْزِلِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر في كينسِنْغتون . وَقامَتْ بَيْنَهُما مَعْرَكَةٌ ٱنْتَهَتْ بِأَنْ قَتَلَ بِپو ڤينوتْشي .

هُنا سَأَلَ لِيسْتْرِيد : « إِذا كانَ ڤينوتْشي يَعْرِفُ بِپو مَعْرِفَةً وَثيقَةً فَلِماذا كانَ يَحْمِلُ صُورَتَهُ ٱلفوتوغْرافِيَّةَ ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « لِكَيْ يَسْتَخْدِمَها أَثْناءَ ٱلبَحْثِ عَنْ بِپو ، فَيَسْأَلُ عَمّا إِذا كانَ أَحَدٌ قَدْ شاهَدَ صاحِبَ ٱلصُّورَةِ . وَبِالطَّبْعِ ، لَمْ أَكُنْ مُتَأَكِّدًا أَنَّ ٱللُّؤْلُؤَةَ لَيْسَتْ في تِمْثالِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر ، وَلٰكِنَّني حَذَّرْتُ جُوسْياه براوِن وَأُسْرَتَهُ . وَٱلحَقُّ أَنَّنا كُنّا مَحْظُوظِينَ – كَما تَعْلَمانِ – إِذْ لَمْ تَكُنِ ٱللُّؤْلُؤَةُ في تِمْثالِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر ، فَلَمّا ذَهَبَ بِپو إِلى مَنْزِلِ ٱلسَّيِّدِ براوِن وَأَمْسَكْنا بِهِ هُناكَ ؛ أَدْرَكْتُ وَقْتَئِذٍ أَنَّ ٱللُّؤْلُؤَةَ لابُدَّ أَنْ تَكونَ في تِمْثالِ ٱلسَّيِّدِ ساند فورْد .

« لَقَدْ كانَتِ ٱلقِصَّةُ ٱلَّتي كَتَبَها ٱلسَّيِّدُ هارْكَر في صَحيفَتِهِ ذاتَ عَوْنٍ لَنا ، فَلَقَدْ جَعَلَتْ بِپو يَعْتَقِدُ أَنَّ رِجالَ ٱلشُّرْطَةِ يَتَّجِهونَ في بَحْثِهِم ٱتِّجاهًا خاطِئًا ، حَيْثُ ظَنَّ أَنَّهُمْ يَبْحَثونَ عَنْ رَجُلٍ مَجْنونٍ يُبْغِضُ نابِلْيون ، وَلَمْ يَخْطُرْ بِبالِهِ أَنَّني ٱكْتَشَفْتُ ٱلسِّرَّ ٱلحَقيقِيَّ لِلتَّماثيلِ . وَٱلآنَ في أَيْدينا ٱللُّؤْلُؤَةُ ، وَٱلرَّجُلُ ٱلَّذي قَتَلَ ڤينوتْشي . »

قالَ لِيسْتْرِيد : « يا سَيِّدُ هُولمْز ، لَقَدْ رَأَيْتُكَ تَعْمَلُ في قَضايا كَثيرَةٍ فيما مَضى ، وَلٰكِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةَ تَقِفُ في مُقَدِّمَتِها جَميعًا . وَأَنا واثِقٌ أَنَّ أَصْدِقائي في سْكوتْلانْديارْد سَوْفَ تَبْهَرُهُمُ ٱلقَضِيَّةُ وَطَريقَةُ حَلِّها ، فَهَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تَحْضُرَ لِتَلْتَقِيَ بِهِمْ غَدًا ؟ إِذا ٱسْتَطَعْتَ فَأَنا واثِقٌ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ سُعَداءَ بِالتَّحَدُّثِ إِلَيْكَ . »

قالَ هُولمْز : « إِنَّهُ لَيُسْعِدُني أَنْ أَحْضُرَ . شُكْرًا لَكَ . »

قالَ لِيسْتْرِيد ، « أَنا ٱلمَدينُ لَكَ بِالشُّكْرِ : فَلَمْ أَفْهَمْ هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةَ حَقَّ ٱلفَهْمِ ، وَلَوْلا مَعونَتُكَ لَما كانَ في مَقْدوري أَنْ أَجِدَ ٱللُّؤْلُؤَةَ قَطُّ . »

ٱبْتَسَمَ هُولمْز لِلَحْظَةٍ ، وَخَفَضَ بَصَرَهُ ناظِرًا إِلى ٱلأَرْضِ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَدْري ما ٱلَّذي يُمْكِنُ أَنْ يَقولَهُ ، ثُمَّ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ فَجْأَةً وَقالَ : « وَٱلآنَ يا واطْسُن ، إِنَّ لَدَيْنا عَمَلًا يَنْتَظِرُنا . فَهٰذِهِ لَيْسَتِ ٱلقَضِيَّةَ ٱلوَحيدَةَ ٱلَّتي أَمامَنا . إِلى ٱللِّقاءِ يا لِيسْتْرِيد ، وَإِذا كانَ لَدَيْكَ قَضايا صَغيرَةٌ أُخْرى ، فَإِنَّهُ يُسْعِدُني أَنْ أُساعِدَكَ فيها ... إِذا كانَ ذٰلِكَ في ٱسْتِطاعَتي . »



مغامرات شرلوك هولمز

١ ـ العصابة المرقطة وقصتان أخريان

٢ ـ النظارة الذهبية وقصتان أخريان



مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت

رقم رمز كمبيوتر 01 C 198 402